زوايا ومرايا

مهارات لا نستغني عنها

زيد الشامي

دار البسمة للنشر الإلكتروني

زوایا و مرایا

زوايا ومرايا

مهارات لا نستغني عنها

زيد الشامي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

زوايـــا ومرايـــا

تأليف :زيد بن علي حميد الشامي

القياس: 14.5 X 21.5 سم
عدد الصفحات : 204 ص

الطبعة الثانية
1445هـ - 2024 م

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

رقم الإيداع : 240311-306-1-16
الناشر :دار بسمة للنشر الالكتروني

الإخراج الفني
khadga ahmed
DesIgner
KhdegaArt
khdega.zakarla.altwabty@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتتح

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

•المؤمن يألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس•

[حديث حسن أخرجه الدار قطني عن جابر رضي الله عنه]

المحتوى

المفتتح	7
المحتوى	9
الإهداء	11
مقدمة الكتاب	12
الفصل الأول : مهارات لا تستغني عنها	15
إقرأ يتسع عالمك	17
كن إيجابياً.....	39
استغناء لا استجداء.....	59
فن التعامل مع الآخرين.....	77
استثمر وقتك	95
الفصل الثاني : مكملات الشخصية السوية	113
البعد عن مواطن الملامة	115
النظام والترتيب في حياتنا	139
النظافة في حياتنا	151
الذوق في حياتنا.....	161
الجمال في حياتنا.....	177
الإتقان في حياتنا.....	189

الإهداء

إلى الراغبين في إتقان المهارات التي تمكنهم من مواجهة تحديات العصر ومستجدات الحياة.

إلى التواقين أن يصبحوا من الشخصيات المحبوبة والمؤثرة في المجتمع.

مقدمة الكتاب

الحمد الله والصلاة والسلام على الرسول الكريم، صاحب الخلق العظيم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هداه، وبعد:

يستهدف هذا الكتاب تسليط الضوء على المهارات الضرورية التي نحتاج إتقانها في حياتنا العامة والخاصة، ولا يستغني عنها شبابنا -عُدة المستقبل- وتشير الموضوعات الواردة فيه إلى الصفات المكملة للشخصية السوية، ولا سيما من يعملون في دعوة الناس وتوجيههم، أو من يتولّون الإدارة والقيادة، أو من يتصدرون الريادة والوجاهة في المجتمع؛ ويجد من حولهم حرجاً لتنبيههم على تقصير يحدث منهم، أو خصلة مهمة تغيب عنهم، أو لفت نظرهم إلى سلوك غير سوي لا يليق بهم، أو التذكير بقضايا تبدو بدهية وواضحة، لكنها مما لا يلتفتون إليه، وقد أوردتها هنا إشارات سريعة على طريقهم، فالمؤمن مرآة أخيه، يكشف له أي هِنات أو عيوب تغيب عنه ليصلحها حتى يبدو في أبهى صورة وأحسن خُلُق.

هذه الطبعة الثانية من الكتاب تصدر -بحمدالله- منقحة ومزيدة، وأرجو أن يجد فيها القارئ ما لا يُستغنى عنه من المهارات التي تقوّي الصلة بالناس، مع بيان بعض الصفات التي تساعد

في أن يكـون المـرء عضـواً فـاعلاً ومحبوبـاً في المجتمـع، ومـا يُنمّـي لديـه الإحسـاس المرهـف الـذي يليـق بالشـخصيات السـوية والمرموقـة.

الشـكر والتقديـر لـكل مـن سـاعدني في مراجعـة الكتـاب وتصحيحـه وإخراجـه، وهـم إخـوة وأسـاتذة أجلاء كُثـر، وفلـذات كبـد أعـزاء، أسـأل الله أن يحسـن إليهـم، ويجعـل ذلـك في موازيـن حسـناتهم، وأرجـوه -جـل جلالـه- أن يتقبـل منـي مـا أحسـنت، ويعفـو عنـي فيما أخطـأت، والحمـد الله رب العـالمين وصلى الله على سـيدنا محمـد وعلى آلـه وصحبـه وسـلم.

إسطنبول
10من شعبان1445هـ
20 من فبراير 2024م

زيد بن علي حميد الشامي
zaidahalshami@gmail.com

الفصل الأول

مهارات لا تستغني عنها

إقرأ يتسع عالمك

كن إيجابياً

استغناء لا استجداء

فن التعامل مع الآخرين

استثمر وقتك

اقـرَأْ.. يتسع عالمُك

اقـرأ.. مفتتـح الوحـي والرسـالة، أول كلمـة نزلـت عـلى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم.

اقـرأ.. كلمـة تعني الانتقـال مـن الجهـل إلى العلـم، اقـرأ تخرجـك مـن محدوديـة الأفـق إلى رحابـة الكـون الواسـع، القـراءة تختـزل لـك الزمـن، وتختـصر لـك المسـافات، تصنـع منـك شـخصاً أكثـر قـدرة، وأوفـر معرفـة، وأبعـد رؤيـة، وأعمـق فهـماً، اقـرأ تـزدد معارفـك، وتنمـو مهاراتـك، ويتسـع عالمـك.

القـراءة ترسـم شـخصيتك وتحـدد مـن تكـون، وبالقـراءة تنمّـي ثقافتـك، وتسـتكمل علومـك الشرعيـة واللغويـة، وتعـرف تفاصيـل ودقائـق القواعـد والحقائـق، وتشـارك الأنبيـاء والمصلحـين والـرواد مواقفهـم وحججهـم وأسـاليب دعوتهـم، وتتعلـم منهـم الصـبر والثبـات والرقـي والتسـامح، وتحـاول معهـم السـمو فـوق الآلام والجـراح، فتـزداد عزيمـة وشـجاعة وقـوة، وتهـون أمامـك الصعـاب، وتصغـر في عينـك المعضـلات.

القـراءة بوابـة تدخـل منهـا إلى عـالم المعرفـة الواسـع: التاريـخ والقصـص والأمثـال والحكـم، العلـوم النظريـة والتطبيقيـة،

تتعرف فيها على عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع، وفي بهوها ترى عالم الفضاء والفلك، وتغوص في بحورها لترى عجائب ما خلق الله تحت الماء، وتستمتع في بساتينها بالطرائف والمُلح والفكاهات، تسرح وتمرح كما تشاء، وتختار من العلوم والآداب والشعر والنثر والمهن والحرف والمهارات ما يناسبك وما يحلو لك..

القراءة تعني رغبتك وحماسك ونشاطك في أن تتعلم ما يفيدك، وأن تختار ما تحتاج إليه، وتستوعب ما ينمي معارفك ومهاراتك، وما يطوّر قدراتك، وما يشرح صدرك، ويسرّي عن نفسك، ويبعد عنك الكآبة والسأم والإحباط.

القراءة تحفيز للذهن ورياضة للعقل، تجعل ذاكرتك حادة فتتذكر ما أُنسيت من سوابق ما تعلمت، والقراءة تخفف من الضغط والتوتر، فالهموم والمصائب والأحداث الجسام التي تواجهك ستراها هيّنة قياساً بما مرَّ على غيرك.

نعم المحدّث والرفيق كتاب تلهو به إن خانك الأصحاب

لا مفشياً للسر إن أودعته ويُنال منه حكمةٌ وصواب

القراءة تجعلك تعيش مع الزعماء والرؤساء والملوك والقادة والعظماء، تستمتع بمجالسهم، وتعرف اهتماماتهم ومواقفهم، وتنظر كيف واجهوا المشكلات؟ ومتى أخفقوا؟ وكيف نجحوا؟

القراءة تنقلك إلى عالم الاكتشافات والاختراعات، لتعيش مع العلماء والأدباء والمفكرين تأخذ منهم خلاصة سنوات من البحث والدراسة والاستنباط والكتابة والتدوين، وتمكّنك من التحليق في آفاق عالَمٍ أوسع من عالَمِك، وتجمع لك خبرات وتجارب السابقين.

وسائل التعلم كثيرة: التلقي، الاستماع، المشاهدة، التفكر، الرحلات، المواقف، الأحداث، التوجيه والإعلام...الخ، وتظل القراءة إحدى أهم وسائل التعلم واكتساب المعارف.

فإذا كنت تحب أن تزداد علماً، وأن تحسّن قدراتك اللغوية، وأن يستقيم لسانك في التعبير والحديث والمناقشةوالإقناع..فعليك بالقراءة فإنها مفتاح للمعرفة، وهي في متناول يدك، ومتى شئت، فإياك إياك ان تهمل هذا المفتاح، أو تتركه يسقط من يدك.

قال المتنبي:

أعز مكان في الدنا سرجُ سابحٍ وخيرُ جليس في الزمان كتابُ

الأمة التي لا تهتم بالقراءة تتخلف، والإنسان الذي لا يقرأ يتقادم حتى لو حمل أعلى الشهادات العلمية، فسيتجاوزه الزمن، ويصبح جزءاً من الماضي، وربما وجد نفسه في مؤخرة الركب، وسيكون آخر من يستمع إليه الناس، فلا تكن ذلك المتخلف عن الركب، محدود المعرفة، قليل البضاعة، وقاصر الفهم.

والمسلمون أمة اقرأ، فالقراءة ملازمة لرسالتهم، ترسم شخصيتهم، وتضعهم في مركزهم اللائق بين الأمم، وقد كانوا كذلك عندما اهتموا بالقراءة، وترجموا المعارف والعلوم من مختلف اللغات إلى العربية، وحافظوا على العلوم والتراث الإنساني من الاندثار، وبنوا الحضارة والمجد، لكنهم حين أهملوا القراءة والدراسة والبحث وشغلتهم وسائل اللهو والإعلام والهواتف والأجهزة الذكية، صاروا من أقل الشعوب اهتماماً بالقراءة، والنتيجة ضحالةٌ في الفكر والثقافة، وتخلفٌ في كل مناحي الحياة!

وإذا كان للقراءة كل تلك الأهمية فإنها ضرورة للدعاة

والمصلحين والرواد والقادة الذين لن تتحقق غاياتهم ولن يؤثروا على غيرهم من دون المداومة على القراءة، والاستزادة من المعرفة، ومتابعة جديد الكتب والدراسات، والبحث عن جواب لكل سؤال يمكن أن يصادفهم أو يوجه إليهم.

قبل أن تُعرَف المطابع كان الناس ينسخون الكتب بخط اليد، ويتبادلونها ويلتهمون ما يصل إلى أيديهم منها، وفي العصر العباسي ازدهرت في بغداد مهنة الورَّاقين (النساخين) الذين كانوا ينسخون الكتب ويحسّنون خطوطها ورسومها ويصحّحون أخطاءها، ويعتنون بها ويهتمون بحباكتها وتجليدها ثم يبيعونها وتحملها القوافل إلى المدن والعواصم، فأسهموا بنشر العلوم إلى أنحاء الأرض في زمنهم.

انتشرت محلات الوراقين حتى بلغت نحواً من مائة محل في بغداد وحدها، وبعض الذين انشغلوا بمهنة الوراقة توسعت معارفهم وزادت فهموهم، وأصبحوا علماء وأدباء وكتاب مشهورين منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري المتوفى عام 255هـ، الذي بدأ حياته صبياً يبيع الخبز والسمك بسوق البصرة، وكان يقضي وقت

فراغه في دكاكين الوراقين، ثم تتلمذ على أشهر علماء عصره، وكان لا يقع في يده كتاب إلا قرأه من أوله إلى آخره، وصار عالماً أديباً فألفّ نحواً من ثلاثمائة كتاب من أشهرها كتاب البيان والتبيين، والبخلاء، والحيوان، ورسائل الجاحظ، والتاج في أخلاق الملوك، وكتاب تهذيب الأخلاق، وكتاب المحاسن والأضداد، وكتاب فلسفة الجد والهزل.

ومن الوراقين المؤلفين ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق المتوفى عام 384هـ صاحب كتاب الفهرست الذي ضمّن فيه كل عناوين ومصادر الكتب والرسائل في زمانه، ويعد أول من كتب الفهارس.

ومن الوراقين المشهورين أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس المتوفى عام 414هـ، وقد برع في النحو والشعر والأدب والفقه وعلم الكلام حتى قالوا عنه: شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومن مؤلفاته الإمتاع والمؤانسة، والبصائر والذخائر، الصداقة والصديق..

ومن الكتّاب الوراقين ياقوت الحموي المتوفى عام 626هـ صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء ومعجم الشعراء، والمقتضب

في النسب، وأخبار المتنبي، والمبدأ والمآل وغيرها من المصنفات..

ومن المكثرين للقراءة ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، المتوفى في بغداد 597 هـ، هو الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب والمؤرخ، شيخ زمانه، وإمام عصره، وكان حريصاً على وقته فيقضيه في القراءة والتأليف، يصف حاله مع الكتب فيقول: (وإني أُخبر عن حالي؛ ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأنما وقعت على كنز، فلو قلتَ: أني قد طالعتُ عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في طلب الكتب فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعاداتهم وغرائب علوم لا يعرفها من لم يطالع).

وهكذا اشتهر علماء ومؤلفون قديماً وحديثاً بكثرة قراءاتهم، وكتب بعضهم عشرات ومئات الكتب التي ما زالت مراجع للباحثين وطلاب العلم حتى اليوم، ومن هؤلاء المشهورين المكثرين من القراءة والتأليف الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى عام 682 هجرية وله أكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة، منها التفسير الكبير، والعقيدة الواسطية، منهاج

السنة النبوية، درء تعارض العقل والنقل، الصارم المسلول على شاتم الرسول، اقتضاء الصراط المستقيم، السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشياطين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وجامع المسائل، والفتاوى التي طبعت في 37 مجلداً..

ومن العلماء الذين عرفوا بكثرة القراءة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى بمدينة زبيد في اليمن عام 817 هجرية، وقد اشتهر بحبه للقراءة، فكان لا يسافر إلا وبصحبته أثقال من الكتب، وكان يشتري الكتب بالذهب، وقد طاف بلاداً كثيرة طلباً للعلم من بلاد فارس إلى العراق فالشام ثم مصر والحجاز، وحط عصا الترحال في اليمن بمدينة زبيد، حيث استقبله الملك الرسولي الأشرف إسماعيل بن عباس، وبالغ في إكرامه وولاه القضاء في كامل اليمن، ويعد من أشهر علماء اللغة، وله أكثر من ستين كتابا في علوم التفسير والحديث واللغة، منها القاموس المحيط في خمسة مجلدات ويُعد أشهر معاجم اللغة العربية وقد اختصره من مائة مجلد، وما تزال المطابع تدفع بالآلاف منه في أكثر من بلد.

ومن الذين اشتهروا بكثرة القراءة والتأليف الإمام أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المصري المتوفى عام 911 هجرية، وله أكثر من خمسمائة كتاب ورسالة في مختلف الفنون والعلوم، وما انفكت دور النشر تعيد طبع الآلاف منها حتى اليوم، منها تفسير الجلالين، والإتقان في علوم القرآن، التوشيح شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، تاريخ الخلفاء، الرحمة في الطب والحكمة، ومقامات السيوطي، والجامع الصغير في احاديث البشير النذير.

ومن أئمة العلم المكثرين في القراءة والكتابة والتصنيف شيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني، المتوفى 1255هـ، كان عالماً فقيهاً وقاضيا شرعيا ومفتيا وشاعراً، تتلمذ على والده ثم على كبار علماء عصره، قرأ كتب الإمام أحمد بن حزم الأندلسي، واطلع على فتاوى وكتب الإمام أحمد بن تيمية، وتأثر بكتب العلامة محمد بن إبراهيم الوزير والعلامة محمد ابن إسماعيل الأمير، والعلامة صالح بن مهدي بن علي المقبلي، والعلامة الحسن بن أحمد بن محمد الجلال، ولأنه كان كثير القراءة والمطالعة فقد تحرر من التعصب المذهبي، وصارت له اجتهادات

خاصة في الفقه وأصوله وغيرها من علوم الشريعة، جعلته إمامًا مشهوراً، له اتباع وطلاب ومحبون في كثير من دول العالم الإسلامي، وقد ألف أكثر من تسعين كتاباً من أشهرها كتاب فتح القدير في التفسير الجامع بين علمي الدراية والرواية في ستة مجلدات، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في ثمانية مجلدات، والدرر البهية في المسائل الفقهية، والدراري المُضيّة شرح الدرر البهية، وإرشاد الفحول في علم الأصول، وأدب الطلب ومنتهى الأرب، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار..

كان ذلك شأن السابقين من العلماء الأعلام الذين قرأوا وكتبوا، وتركوا للأمة تراثاً عظيماً في مختلف العلوم والفنون، أما اليوم فقد تأخر المسلمون وتقدم عليهم غيرهم، وما ذلك إلا إنهم أهملوا التعلم والقراءة، وربما مر على أحدهم اليوم من دون أن يقرأ مقالاً أو موضوعاً، وقد يمر أسبوع أو شهر ولم يقرأ كتاباً، بينما نجد الشعوب الجادّة والمتطلعة لغد أفضل يتسابق أفرادها في الاستزادة من القراءة، ولست بحاجة للاستدلال بالمقارنات المنشورة التي تظهر أن العرب والمسلمين اليوم من أقل الأمم قراءة!

لقد أصبح أحد مقاييس العلم والثقافة في كل دولة يعرف بالمكتبات العامة الموجودة فيها، وعدد الكتب والمراجع التي تحتويها، وعدد القراء الذين يترددون عليها.

وفي اليمن قبل وجود المطابع الحديثة ، كان العلماء ينسخون الكتب التي تصل اليهم بخط اليد، ولندرة الكتب في الستينيات من القرن العشرين، كانت الكتب المدرسية تأتي إلى اليمن من مصر وبكميات غير كافية لجميع الطلاب، فيتم توزيع كمية محدودة من كتب المنهج لكل فصل، فيتبادل الطلاب الكتب كل يوم؛ هذا يأخذ كتاب العلوم، والثاني يأخذ كتاب القراءة، والثالث يأخذ كتاب الرياضيات..وفي اليوم الثاني يتبادلون الكتب بينهم وهكذا دواليك، وكنا نحرص على تغليفها والمحافظة عليها ونعيدها نهاية العام الدراسي ليستفيد منها زملاؤنا في العام التالي.

والمؤسف بعد أن توفرت الكتب وزاد النشر، وصارت أغلب المراجع والكتب معروضة على صفحات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) قل الاهتمام بالقراءة، وشغلت وسائل التواصل الاجتماعي حيزاً كبيرا من أوقات الكبار والصغار والنساء والرجال إلا ما ندر، ولهذا زادت الشكوى من تدني مستوى التعليم،

وضحالة الفكر والثقافة، وضعف القدرة على التعبير والكتابة، فالعزوف عن القراءة يقود إلى الركود والتخلف والجمود.

ويجب عدم الاستسلام لهذه الحالة من العزوف، فيمكن أن تزدهر القراءة إذا وجد الاهتمام والتوجيه والتحفيز، وقد ظهر من القراء والكتاب والباحثين في عصرنا أعلام صدرت لهم عشرات المؤلفات، ومن العلماء المشهورين بكثرة القراءة والتأليف الإمام بديع الزمان سعيد النورسي المتوفى عام 1960م رحمه الله، أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره، وكان نابغة، حفظ القرآن الكريم في صغره خلال أسابيع، وقرأ وحفظ تسعين مجلداً من أمهات الكتب الإسلامية في مختلف العلوم، ولم يبلغ الرابعة عشر من عمره حتى صار ذائع الصيت بين أقرانه، وعُرف بقوة حجته ورسوخ قدمه في العلم، وتفوقه على كل من ناظره من العلماء، وقد قرأ كتب الثقافة الحديثة، ودرس الفلسفة الغربية دراسة متعمقة، وكتب مؤلفات بيّن فيها أوجه التقارب والاتفاق مع تعاليم الإسلام، والتميز الذي جاء به القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، ورد على الأباطيل التي تضمنتها، وأتقن النورسي العربية والتركية والفارسية إضافة إلى الكردية لغته الأم،

أصدر النورسي مجموعة كتب ورسائل، منها "الخطوات الست"، و"رسالة عن معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام"، و"رسائل النور" التي بلغت مائة وثلاثين رسالة ضمنها استلهاماته وتأملاته في معاني القرآن الكريم وحقائق الإيمان وبراهينه، وقد طبعت في أربعة عشر مجلداً، وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من ثلاثين لغة عالمية، وأصبح له عشرات الآلاف من التلاميذ والأتباع، وأسلم بقراءة كتبه الآلاف في حياته وبعد وفاته رحمه الله.

ومن لا يعرف الأستاذ عباس محمود العقاد المتوفى عام 1383 هجرية 1964م العالم والأديب والشاعر والفيلسوف المصري المشهور؛ لم يدرس سوى الابتدائية لأنه كان من أسرة محدودة الدخل وغير قادرة على الإنفاق عليه لمواصلة تعليمه، لكنه بعزيمته ومثابرته، تمكن بالقراءة أن يرتقي ليصبح أحد رجال الفكر والأدب والسياسة المشهورين في عصره، وكانت مكتبته تضم أكثر من ثلاثين ألف كتاب، وقد بدأ مسيرته بالكتابة في الصحف، وظهرت مواهبه منذ مطلع شبابه.

تعلم العقاد اللغة الإنجليزية نطقاً وكتابة وألّف بها، وأصبح عضواً في مجلس الشعب المصري(البرلمان)، وكانت له مواقف تشهد

بشجاعته وبعد نظره، وكان من دعاة الحرية ومحاربة الظلم والاستبداد ومقاومة الاستعمار، وقد تميزت كتاباته بقوة الحجة والبيان.

استطاع العقاد أن يبرز عظمة دين الإسلام وكماله وجماله، ورد على أفكار الشيوعية والإلحاد، وكانت له صولات وجولات مع كبار عمالقة الأدب والشعر والفكر في زمانه، وصدر له أكثر من ثمانين كتاباً، اتسمت بالعمق والرصانة وقوة المنطق والحجة، كتبها بلغة أدبية رفيعة، منها العبقريات (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، وعبقرية المسيح عليه السلام، وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر، وعبقرية عثمان، وعبقرية الإمام علي، وعبقرية خالد بن الوليد)، ومن كتبه: أبو الأنبياء الخليل إبراهيم، الصديقة بنت الصديق، أبو الشهداء الحسين بن علي، وساعات بين الكتب، الإسلام دعوة عالمية، ومطالعات في الكتب والحياة، وإبليس، الإسلام في القرن العشرين، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، أفيون الشعوب، الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، الصهيونية وقضية فلسطين، وسارة، غراميات العقاد، المهاتما غاندي روح عظيم..

ومن علماء العصر الذين عرفوا بكثرة القراءة والإطلاع الشيخ محمد الغزالي السقا المصري المتوفى عام 1416 هجرية 1996م، وهو عالم فقيه وخطيب مفوّه، وكان يلقب بأديب الدعوة، ويعد أحد مجددي الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وقد عرف بقوة الحجة وصدق العاطفة، وشدة الحماس في الدفاع عن الإسلام والرد على شبهات الملحدين، وتفنيد أراء المناهضين للدين، وصدر له أكثر من سبعين كتابا منها كتاب فقه السيرة، وجدد حياتك، وقذائف الحق، والإسلام في وجه الزحف الأحمر، وقضايا المرأة، وعقيدة المسلم، وخلق المسلم، والسنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ودستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، والتعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، والإسلام المفترى عليه، وسر تأخر العرب والمسلمين، والإسلام والمناهج الاشتراكية، وكنوز من السنة، والإسلام والطاقات المعطلة، وتأملات في الدين والحياة، وهموم داعية، والغزو الثقافي يمتد في فراغنا، والحق المر، وركائز الإيمان بين العقل والقلب..

ومازالت القراءة تصنع أعلامًا كباراً أمثال الشيخ محمد

علي مصطفى الطنطاوي المعروف بعلي الطنطاوي المتوفى في مكة المكرمة عام 1420هـ ، 1999م، وهو عالم سوري ولد وتربى في دمشق، وتنقل في عدة أقطار عربية، وقد اشتغل بالتدريس والقضاء، وهو من أعلام الأدب العربي والدعوة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي.

كان الطنطاوي رحمه الله يقرأ عشر ساعات كل يوم، وأقل ما يقرأ في اليوم مائة صفحة، وله انتاج غزير بلغة سهلة جذابة وفصيحة، تتضمن الحِكَم والقصص والتاريخ والشعر والأدب، وله تسجيلات تلفازية ماتعة جداً، وقد دوّن ذكرياته في سبعة مجلدات، وله عدة مؤلفات منها: فتاوى علي الطنطاوي، ورجال من التاريخ، وتعريف عام بدين الإسلام، وقصص من الحياة، وصور وخواطر، نور وهداية، فصول في الثقافة والأدب، في سبيل الإصلاح..

ومن زملائنا الأستاذ عبدالملك محمد مرشد الجندبي الشيباني المتوفى بمدينة تعز عام 1435هـ/ 2013م الكاتب والمؤرخ المحقق، كانت يده لا تخلو من مجلة أو كتاب يقرؤه، وغالبا ما يصطحب معه مذكرة وقلماً يدوّن فائدة قرأها، أو خاطرة مرت عليه، حتى يضعها في كتاب أو مقال، وظل ذلك ديدنه حتى توفاه

الله، ولـه أكثـر مـن عشريـن كتابـاً مخطوطـاً ومطبوعـاً منهـا: العلـم والعـلماء، شـهيد القـرآن، اليمـن ومكانتهـا في القـرآن والسـنة، كتـاب تخريـج أحاديـث أهـل اليمـن، صحابـة اليمـن، ورجـال الـطبري في الميـزان، البيحـاني ومعـالم الإصلاح في حياتـه، معـاذ بـن جبـل، الأمـة العظيمـة، حـاضر العـالم الإسلامـي، الـسيرة النبويـة في ظلال القـرآن، ومـن أشـهر كتبـه الظهـور الإسلامـي فجـر دائـم وشروق مستمر.

والآن تعالوا نسأل أنفسنا : ما أولويات القراءة لدينا؟

(اقـرأ شـيئاً عـن كل شيء)، ليكـون لديـك معرفـة وإلمـام عـام بمختلـف العلـوم والثقافـات، بحيـث لا تكـون غريبـاً في أي وسـط تكـون فيـه، (واقـرأ كل شيء عـن تخصصـك ومهنتـك وعملـك) بحيـث لا تغيـب عنـك شـاردة ولا واردة في مجـال وظيفتـك واهتمامك الخـاص إلا وقـد أحطـت بهـا علـماً، لتصبـح مرجعـاً حـاضر الجـواب، سريـع البديهـة عـن أي سـؤال يعـرض عليـك.

وغنـي عـن البيـان التأكيـد على أن يكـون لديـك وردٌ يومـي مـن القـرآن، وأن تـداوم على الأذكار ليظـل قلبـك دائـم الصلـة بـالله مصدر القـوة والإلهام والتوفيـق، وتحتـاج إلى معرفـة كافيـة بالعلـوم الشرعيـة (القـرآن الكريـم وعلومـه، والحديـث الشريـف وعلومـه، وعلـم

التوحيد والفقه والسيرة، والثقافة الإسلامية، واللغة وآدابها..).

وعالم القراءة متعدد وواسع وممتع: الأدب شعراً ونثراً، القصص والروايات، التاريخ والجغرافيا، التراجم والسير، العلوم والتقنية، الاختراعات والاكتشافات.. وستلحظ أنك كلما توسعت في القراءة ستشعر أنك بحاجة إلى المزيد، فما تجهله أكثر مما علمته، قال الشاعر محمد مصطفى حمام:

عَلَّمَتْنِي الْحَيَاةِ إِنَّنِي مِهْمَا أَتَعْلَمُ فَلَا أَزَالُ جَهُولًا!

ولكن عليك أن تحسن اختيار ما تقرؤه، فالمنشور والمعروض كثير؛ وفيه الغثّ والسمين، والخبيث والطيب، وفيه ما يضر وما ينفع، ما يدعو للفضيلة وما يحرض على الرذيلة، ما يقوّي الإيمان واليقين وما ينتقص من العقيدة والشريعة، ما يزيد في المعرفة وما يشكك في الثوابت، ما يفيد وما يضيّع الأوقات.

لقد آن الأوان أن تجلس مع نفسك وتسألها: كم صفحة تقرأ في اليوم؟ وكم كتاباً تقرأ في الشهر؟ وما جملة ما قرأته من الكتب والدوريات والمراجع العلمية خلال العام؟

لا تتوقف عن القراءة، ولا تشغلك صوارف الحياة عن الخلوة بكتاب تناجيه وتناغيه، تسأله فيجيبك، يخرج لك كنوز الحكمة، ويقدم لك خلاصات العلوم والمعارف، يشرح صدرك ويبسط بين يديك ما يذهب همومك ويزيح غمومك، وعندما تدمن على القراءة ستصبح عادة محببة إلى نفسك، وسترى كم أنت غني بما تقرأ، سيكون حديثك مفيداً، ولغتك فصيحة، وكلامك جذاباً، وستجري الحكمة على لسانك.

ونختم موضوع القراءة بهذا الوصف الجميل للكتاب الذي سطره قلم الجاحظ في كتابه الحيوان، قال:(الكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك، والصديق الذي لا يُغْريك، والرفيق الذي لا يَمَلُّك، والمستميح الذي لا يَسْتَرِيثُك، والجار الذي لا يَستبْطِيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالمَلَق، ولا يعاملك بالمَكْر، ولا يَخْدعك بالنّفاق، ولا يحتال لك بالكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمْتاعك، وشحذ طِباعك، وبسط لسانك، وفخّم ألفاظك، وعمَّر صدرك،

ومنحك تعظيم العوامِّ وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر، ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغُرْم، ومن كدّ الطلب، ومن الوقوف بباب المُكتَسِب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خُلُقا، وأكرم منه عِرْقا، ومع السلامة من مُجالسة البُغَضاء ومُقارنة الأغبياء.

والكتاب هو الذي يُطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويُطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يَعتلّ بنوم، ولا يَعتريه كَلال السهر.

وهو المعلّم الذي إن افتقرت إليه لم يُخْفِرْك، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عُزِلْتَ لم يَدَعْ طاعتك، وإن هبّت ريح أَعاديك لم يَنقلب عليك، ومتى كنتَ منه متعلّقا بسبب أو معتصما بأدنى حبل، كان لك فيه غِنىً من غيره، ولم تَضْطَرَّك معه وَحْشةُ الوَحْدةِ إلى جليس السُّوء.

ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه إليك، إلّا منعُه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارّة بك، مع ما في

ذلك من التعرُّض للحقوق التي تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الخَوْض فيما لا يعنيك، ومن ملابسة صِغار الناس، وحضور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرّديّة، وجهالاتهم المذْمومة، لكان في ذلك السلامةُ، ثم الغنيمةُ، وإحرازُ الأصل، مع استفادة الفرع).

•~•~•~•~•

كُنْ إِيجَابِياً

الإيجابية لغة :

اسم من الإيجاب، وهو كل ما يصدر من أمور ناجحة ومقبولة وموفقة، والإيجابية عكس السلبية، ونقصد بالإيجابية هنا: العمل والفعالية والجدية، وترك الكسل والبعد عن اللامبالاة، وعدم الاتكالية على الآخرين، الإيجابية تعني أن لا ترى الواقع السيء وتكتفي بالتمني أن يتغير نحو الأحسن، فالمؤمن لا يقف عند الأماني فحسب، إلا إذا كانت تلك الأماني أهدافاً يسعى جاهداً للوصول إليها إذ لابد من الإيمان والعمل معاً.

الإيجابية إرتقاء وتجديد دائم، وعدم الاكتفاء بما تحقق من إنجاز، والسعي لتحقيق الأجمل والأفضل، والازدياد من أعمال الخير والبر من دون كلل ولا ملل ولا استكثار.

الإيجابية تعني أن نتعود على أن نعطي ولا نطلب المكافأة على ما قدمناه، إعرف واجباتك ولا تنتظر حتى يقوم الآخرون بواجباتهم، لأنك سوف تُسأل أمام الله وحدك، كن فاعلاً عاملاً جاداً نشيطاً ولا تكن من الغثاء الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل

أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل)[1].

وها نحن اليوم نشاهد الغثائية في حياة أمة الإسلام، أعداداً هائلة من المسلمين، وأموالاً طائلة، وثروات عظيمة، وإمكانات غير محدودة، ولكنها لا تفعل في الواقع شيئاً، فاحذر أن تكون من الغثاء واحرص على أن تكون رقماً صحيحاً: لدينك، لنفسك، لإخوانك، لأهلك ووطنك، فالمؤمن إيجابي دائماً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال فيعمل بيده فينفع الناس ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع؟ قال فيعين ذا الحاجة الملهوف، فإن لم يفعل فيأمر بالخير، فإن لم يفعل فيمسك عن الشر فإنه له صدقة"[2].

إذاً لا مجال للسلبية :

اعمل، تصدق، اخدم الآخرين، انفع غيرك، وأضعف الإيمان أن تكف شرك عن الناس، فلا حياد عند المسلم، ولا يجمل به أن يعيش على هامش الحياة، لأنه جاء إلى الدنيا ليعبدالله، ويقيم فيها أمر الله وشرعه، ولا يضيع أوقاته من دون عمل أوفائدة،

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم رقم: (4297/ 769) وأخرجه الإمام أحمد وصححه الألباني.
(2) صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

بل يملأ الحياة بالعمران، ويزرع الخير، وينشر البِرّ في الأرض، حتى يأتيه الموت وهو دائم العطاء.

كيف تكون إيجابياً؟

كثير منا يضيع وقته برفقة زملاء أو في جلسات أو اجتماعات لا فائدة منها، ولا يفكر في أن يكون مؤثراً وإيجابياً في المكان الذي يوجد فيه فيمضي عمره كجملة زائدة لا محل لها من الإعراب، والمؤمن لا يشعر أن وقته مشكلة فهو لا يبحث كيف يقتل هذا الوقت، لأن الوقت فرصته في الحياة للعمل والجد والاجتهاد.

لابد أن تكون إيجابياً في الموقع والمكان الذي توجد فيه، إن كنت طالباً أو معلماً أو مديراً، أو رئيساً، أو كاتباً أو مسؤولاً أو تاجراً أو عاملاً أو صانعاً أو زارعاً أو سائقاً.. فلا تنسَ بأنك صاحب رسالة، وليس بالضرورة أن تخطب أو تحاضر - وإن كان هذا مطلوباً من القادر عليه - إذ يمكنك أن تكون داعية إلى الله في دوامك، والتزامك، وأمانتك، ولا تدعْ الناس يوجهون إليك العتاب واللوم للتأخير والتباطؤ في إنجازك الأعمال، افرض احترامك على الناس بالأداء المتميز، حينها سينصت لك الناس إذا أسديت لهم النصيحة، أو أهديتهم كتاباً أو أسمعتهم تسجيلاً

مفيداً، وسوف يتفاعلون معك عندما تفتح حواراً، أو تقيم معهم علاقة مبنية على الاحترام والثقة.

إن كنت طالباً استوعب دروسك، تفوق على أقرانك، أحسن الصلة بزملائك، تعرف على مدرسيك وعبر لهم عن تقديرك لهم واعترافك بفضلهم، كن شامة يشار إليك بالبنان علماً وأدباً وخلقاً والتزاماً، الطالب الذي يمارس مثل هذا السلوك يكون إيجابياً يؤثر على الآخرين لأنه داعيه للخير بأدائه وتعامله وسلوكه.

كن داعية في قريتك، في حيِّك، في وظيفتك؛ بمظهرك، بحسن حديثك، بتعاملك مع غيرك، ادعُ الآخرين إلى طريق الهداية والرشد، واكسبهم إلى صف الحق، فإن لم تستطع أبعد الأشواك عن طريق إخوانك، وأقل ما تعمله أن تخفف من عداوات خصومك.

إذا لم تتمكن من دعوة غيرك وإرشاده إلى جادة الصواب، فاعمل على الحد من سطوة الشر، وقم بتفنيد دعاوي الباطل، أما أن تُمضي أوقاتك من دون أي فعل إيجابي، أو تجلس مع الغارقين في هموم الدنيا ومتاعها الزائل، وهم الذين يتحدثون ويؤثرون وأنت صامت تسوّف وتنتظر الوقت المناسب لتقول ما لديك من تزكية وبيان وحجج؛ فإن هذا السلوك سيجعل إيمانك يضعف، وربما

تتأثر ببعض الشبهات، وقد تتساهل عن بعض العزائم وتميل إلى الكثير من الرخص، ولن تأمن على نفسك أن تختلط عليك السبل فتضل الطريق المستقيم، وتلك نتيجة متوقعة للسلبية.

يمكن أن تكون إيجابياً ومؤثراً وأنت تشتري أو تبيع، فلا تقيم الدنيا وتقعدها أو ترفع صوتك على البائع أو المشتري من أجل مبلغ يسير أو زيادة أو نقص يسير، والأفضل أن تكون متسامحاً في تعاملك، استحضر قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا قَضَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى)[1]، إن سمة التسامح هي التي تحفظ ودّ القلوب وتفرض الاحترام، ويضع الله البركة للبائع والمشتري.

إذا كنت تسوق السيارة ومررت جوار المارة فلا تعفرهم بالتراب أوعادم السيارة، وإذا كان في الشارع ماء فلا تجعله يطيش بسرعة سيارتك حتى لا تتسخ ثيابهم، إذا أردت أن تدور بسيارتك إلى اليمين أو اليسار أعط إشارة، هذه كلها مظاهر تدل على أنك شخص تحترم نفسك وتقدر الآخرين، وإذا كنت تقود السيارة في الطريق العام ورأيت صاحب سيارة أخرى يريد أن

(1) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع رقم (2076/ 391).

يدخل الشارع فيجمل بك أن لا تضيّق عليه، بل قف واسمح له بأن يدخل أمامك وهذا السلوك دعوة ورسالة تؤثر بها في الآخرين.

إذا ركبت الحافلة ودخل رجل كبير في السن أو امرأة لا تحاول أن تتجاهل هذا الداخل، فإذا لم يجد له مقعداً أو أن المكان الذي وجده غير مناسب، أفسح له وآثره على نفسك أو أجلسه في المقعد المناسب، هذه كلها تجعلك إيجابياً لأنك تحترم الآخرين وتقدر مشاعرهم. المسلم إيجابي يحمل هَمَّ دعوة الناس وإصلاحهم، فلتكن مثل هدهد سليمان، انشغل بشأن الملكة بلقيس وقومها، وكان سبباً في هدايتها وهداية قومها، فلا أقلَّ أن تكون مثل هذا الطير ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

المؤمن إيجابي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يقع في إثم التقصير، ويختار أفضل السبل للقيام بهذا الواجب، وفي الحديث (والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ

(1) سورة النمل (24-22)

عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ) (1).

إنه طريق الفلاح والفوز:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(2).

والقيام بهذا الواجب له تبعات، ويعرض القائم به للمخاطر ولاسيما إذا كان المنصوح صاحب سلطة، لكن التقصير في هذا الواجب يؤدي إلى تراجع مكانة الأمة واضمحلال تأثيرها، قال صلى الله عليه وآله وسلم:(إذا رأيْتَ أُمَّتي تَهابُ أنْ تَقول للظالم ياظالِمُ، فقد تُوُدِّعَ منهم)(3) وهل ضعف أمتنا اليوم إلا لأنها خافت أن تقول للظالم يا ظالم، وتلكأت في قول كلمة الحق، وصارت تخشى الناس أكثر من خشيتها لله.

قم بواجباتك الخاصة:

اجعل للطاعات نصيباً من برنامجك: صلاة وصياماً وصدقة، وتلاوة وذكراً وصلة رحم، وخدمة للناس، واحرص على أداء

(1) حديث حسن أخرجه أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه.
(2) سورة آل عمران (104).
(3) رواه أحمد وغيره واللفظ له.

العبادات والشعائر كأحسن وأفضل ما يكون خشوعا وتدبراً، فهذه إيجابيات تنمي الإيمان وتقويه.

كن إيجابياً مع نفسك، فلها عليك حق، احرص على أن تكون وجبتك الغذائية متوازنة تشمل كل عناصر الغذاء التي يحتاجها الجسم، ولا إفراط ولا تفريط، اعطِ جسدك قسطاً من الراحة بعد عناء العمل لتنطلق بعدها بهمة ونشاط وحيوية، وإذا مرضت اعرض نفسك على الطبيب، وفي الحديث (تَدَاوَوْا عِبَادَ الله، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ) (1).

قم بواجباتك نحو أسرتك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ..") (2).

كن إيجابياً في علاقتك مع الناس، وفي الحديث: (الْمُؤْمِنُ يَالَفُ وَيُؤلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ) (3).

(1) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم (2554)/ 482) ومسلم في كتاب الإمارة رقم: (1829/ 763).
(2) صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(3) حديث حسن أخرجه الدار قطني عن جابر ـ رضي الله عنه.

كن دمث الخلق، حسن المعشر مع الصغار والكبار، وأنزل الناس منازلهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفُ شَرَفَ كَبِيرِنَا)[1].

ساعد غيرك في قضاء حوائجه، تذكر أن (خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)[2].

(وَاللهِ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدِ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)،[3]

قم بواجباتك نحو أفراد المجتمع، فإذا استعان بك أخوك المسلم فأعنه، وإذا لقيته فسلم عليه، وإذا عطس فحمد الله فشَمِّتهُ، وإذا مات اتبع جنازته، لا ينبغي أن تعيش سلبياً في الحياة، لابد أن تكون فاعلاً ومؤثراً، ولا تقف عند هذا، بل عود نفسك على المبادأة في فعل الخير، وفي الصحيح (مِنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ)[4].

لا تكن سلبياً وأنت ترى الظلم يقع على أخيك المسلم القريب أو البعيد، وبادر بالدفاع عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم:(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(2) حديث حسن أخرجه الطبراني وغيره.
(3) جزء من حديث أخرجه أبو داوود، في باب: المعونة للمسلم رقم: (4946/ 894) وقال الألباني: صحيح.
(4)أخرجه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جرير رضي الله عنه.

حَاجَـةِ أَخِيـهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِـهِ)[1].

انـصره ولا تتركـه للذئـاب تفترسـه، وإن كان عـلى خطـأ رده إلى جـادة الصـواب، فذلـك نـصرك لـه، هكـذا علمنـا رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام: (أُنْـصُرْ أَخَـاك ظَالِمًـا أَوْ مَظْلُومًـا)[2].

ويـزداد أجـرك عندمـا تـنبري للدفـاع عـن أخيـك في غيابه:(مَـنْ ذَبَّ عَـنْ عِـرْضِ أَخِيـهِ بِالْغِيبَـةِ كَانَ حَقًّـا عَلَى اللهُ أَنْ يُعْتِقَـهُ مِـنْ النَّـارِ)[3].

المسلم من صناع الخير، وليس محايداً في فعله أو مجرد متفرج، ومـن أفعـال الخـير: إفشـاء السـلام، والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، بـما في ذلـك إماطـة الأذى عـن الطريـق، كل تلـك صدقـات محسـوبة الأجـر عنـد الله، قـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم:

(يُصْبِـحُ عَـلَى كُلِّ سُـلَامَى مِـنْ ابْـنِ ادَمَ صَدَقَـةٌ، تَسْـلِيمُهُ عَـلَى مَـنْ لَقِـيَ صَدَقَـةٌ، وَأَمْـرُهُ بِالْمَعْـرُوفِ صَدَقَـةٌ، وَنَهْيُـهُ عَـنْ الْمُنْكَـرِ صَدَقَـةٌ، وَإِمَاطَـةِ الْأَذَى عَـنْ الطَّرِيـقِ صَدَقَـةٌ..)[4].

(1)أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم: (2442/ 460) ومسلم في كتاب: البر والصلة والأدب، رقم: (2580/ 1040).
(2)أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً رقم: (2443/ 461).
(3)صحيح أخرجه احمد والطبراني عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنهما.
(4) صحيح أخرجه أبو داود عن أبي ذر رضي الله عنه.

هـذا هـو شـأن المسـلم المبـادأة، والمسـارعة والتنافـس في فعـل الصـالحات، إعمِـلْ فكـرك دائما، كيـف تبـادر بعمـل الخير؟ وكيـف تحسـن إلى النـاس وتسـاعد الضعفـاء والمحتـاجين؟

اجعـل ذلـك في قائمـة اهتمامـك.. فالبـدار البدار: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(1).

المؤمن إيجابي مع آيات الله :

لأنـه يتفاعـل معهـا، فعندمـا تتلـو آيـات القـرآن الكريـم حـريٌّ بـك أن تتفكـر فيهـا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(2).

الكثيـر مـن المسـلمين يقـرؤون القـرآن، ولكـن القلـة مـن يتأثـر بـه ويعمـل بمقتضـاه، ويشـعر بـأن الآيـات تخاطبـه وتأمـره وتنهـاه، وبعضهـم ربـما يـأكل مـالاً حراماً بينـما هـو يقـرأ الآيـات التـي تنكـر عـلى مـن يـأكل المـال الحـرام وكأن هـذه الآيـات لا تعنيـه، فقـد أغلـق قلبـه عـن فهـم معانيهـا، والالتـزام بـما جـاء فيهـا: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(3).

تعامـل مـع آيـات الكـون بتدبـر وفهـم، ومـا أكثـر آيـات الله

(1) سورة آل عمران (13).
(2) سورة الأنفال (2).
(3) سورة محمد (24).

سبحانه وتعالى المبثوثة في هذا الوجود، تفكر في السماء وجمالها ونجومها وكواكبها، وفي الأرض وتضاريسها، وفي الشجر وأنواعها واختلاف ثمارها، وفي الحجر وألوانه، وفي خلْق الإنسان والحيوان، والناس يختلفون في نظرتهم لمخلوقات الله، فقد ينظر أحدهم إلى وردة نظرة عابرة، ويأتي آخر فيقف عندها طويلاً يتأمل حكمة الله سبحانه وتعالى فيها، ويستمتع برؤية جمالها وألوانها ورائحتها، وكذا في الكثير من مخلوقات الله.

هناك فرق بين من يرى الكون كظاهرة معتادة، ومن ينظر إليه كنظام ونسق محكم وجميل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(1).

إنها لآياتٌ عظيمة، ولكن مع إِلْفنا لها وتعودنا على رؤيتها فلا نكاد نفكر في عظمة صنع الله فيها، وتأتي آيات القرآن تلفت انتباهنا: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(2).

الذي يعيش في مناطق منبسطة إذا صعد إلى مناطق جبلية لأول مرة يهوله مرأىٰ الجبال العظيمة، ويظل يتأمل في ارتفاعها

(1) سورة آل عمران (190).
(2) سورة الغاشية (17 ـ 20).

وشكلها وألوانها وجمالها، لكن الذي يعيش في الجبال مع تعوده على رؤيتها لا يمعن النظر فيها، وكذلك عندما ينزل شخص من الجبال والمرتفعات إلى المناطق الساحلية يستهويه منظر البحر ويرى عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته في امتداد المياه وصفائها وانعكاس لون السماء على صفحتها، وتلاطم الأمواج وحركة المد والجزر على شواطئها، بينما من يعيش على سواحل البحر، ربما لا يشعر بتلك العظمة وذلك الجمال الأخّاذ لأنه تعود على رؤيته كل يوم.. الأمر الذي يجعلنا نذكّر بأهمية وفوائد التفكر في عظيم خلق الله.

القرآن يدعو الإنسان ليعمل بصره وفكره في هذه المخلوقات العظيمة التي يراها أمامه ماثلة للعيان، لينبعث في نفسه الإجلال والتعظيم للخالق سبحانه: ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًاوفاكهةً وأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾[1].

وهكذا حين نقف عند آيات الله التي نراها حولنا ونتفكر

(1) سورة عبس (30/ 17).

في عجائب صنع الله فيها نكون إيجابيين مع الكون وما فيه من إحكام وجمال وتنسيق وتقدير.

والمسلم صاحب حس مرهف:

فهو غير متبلِّد الذهن، ولا يتغافل عما يدور حوله، بل يتأثر ويشعر بحاجة من حوله من الجيران والأقارب والأصحاب، يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: (مَا آمَنَ بِي مَنْ بات شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جِوَارِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ)[1]، يتبسم في وجه مَنْ بات يلقاه ليدخل السرور إلى نفسه، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيك صَدَقَةٌ)[2].

ويلقي السلام على من يعرف ومن لا يعرف لأن ذلك مفتاح للمحبة: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[3].

والمؤمن عفّ اللسان، يبتعد عن الفحش والبذاءة، هكذا علمه الإسلام: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللِّعَانُ وَلَا الْفَاحِشِ

(1) أخرجه الطبراني والبزار.
(2) حديث صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه.
(3) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَا الْبَذِيءِ)[1]، إنه الأدب الراقي والتعامل الإيجابي مع الناس.

إذاً عوّد نفسك أن تكون مرهف الإحساس، صاحب مشاعر جياشة، تُحسّ بمن حولك وبمن تشاركهم السراء والضراء، فإن لك مشاعر وللآخرين مشاعر أيضاً يجب أن تراعيها.

وحتى الطريق لابد أن تكون إيجابياً معها :

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسُ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرُدَّ السَّلامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ)[2].

وأنت في الطريق واقفاً تراقب المارة، أو تجلس على كرسي أو حجر أو تحت شجرة، أو فوق سيارة، هذه الجلسة لا تعفيك من القيام ببعض الواجبات التي لابد أن تؤديها، فلو رأيت منكراً غيّره، أو شخصاً يعتدي على ضعيف، أو معتوهاً يؤذي امرأة أويعاكسها لابد أن تنهاه عن فعله، إذا مرَّ بك مُسنٌ أو كفيف يريد أن يعبر الطريق قم وساعده حتى يعبر بأمان، ويأتي آخر يجهل

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: أفنية الدور والجلوس فيها، رقم (2465/ 464) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، رقم: (2121/ 878).

طريق الوجهة التي يريد الوصول إليها، فلا تتردد في إرشاده، كف أذاك عن الناس، غض بصرك عن مالا يحل لك، فالإسلام لا يقبل منك أن تكون سلبياً ولا أن تبقى كالجماد من دون مشاعر.

المسلم إيجابي وليس إمَّعَة :

بل هو قدوة، والداعية بوجه أخص لابد أن يكون صاحب مبادرة وفعل، ولا يستسلم لما يراه من الضعف أو الإهمال أو العادات السيئة، وإن كانت متأصلة بين الناس فعليه أن يسعى لتغييرها أو استبدالها بالأفضل والأحسن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقَوَّلُوا: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا)[1].

وللإيجابية مظاهر :

الإرادة والجدية والعزيمة: المسلم صاحب إرادة وعزيمة يأخذ الأمور بجدية الصغير منها والكبير، فلا يقصر في المندوبات فضلاً عن الواجبات، يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله، إذا قال فعل، إذا نوى اقتحم، يبادر ويبتكر، ويعطي كل شيء حقه من الاهتمام حتى في أمور حياته المعتادة، فإذا حملت سيارة متاعاً فلا تقل المسافة

(1) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب، وقال الألباني في مشكاة المصابيح: (بإسناده ضعف، وقد صح عن ابن مسعود موقوفاً)..

قريبة ولا احتاج إلى تأمين ما تحمله، لأنك عندما تصل إلى البيت ربما تجد أن بعض متاعك قد تساقط في الطريق، وهكذا في سائر شؤونك يجب أن تعوّد نفسك أن تأخذ الأمور بالجدية والحزم.

استمرار تزكية النفس والارتقاء بالروح، ففي بداية الدعوة أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا ﴾[1].

كان لابد من الإعداد الروحي استعداداً لتبعات الدعوة وردود فعل المدعويين، ولن يكون ذلك إلا بالقرب من الله، وحسن الصلة به، والتذلل بين يديه حتى يمتلئ القلب حباً لله وثقة به، ويقيناً بقدرته، فيذهب منه الخوف من الناس، والتعلق بما عندهم، والخشية من أذاهم، فكانت تلك العزيمة القوية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنه فاضت على قلوب المؤمنين برسالته.

وأنتم أيها السائرون على طريق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كونوا أصحاب إرادة قوية وعزيمة فولاذية، إيماناً بالله وثقة بوعده، وعدم الخوف إلا من جبار السماوات والأرض، تذكروا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لعمه أبي

(1) سورة المزمل(1ـ 5).

طالب: (والله يَا عَمِّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسِ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكْ هَذَا الأَمْرِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهَّ أَوْ أَهْلِكَ فيه ما تركته) (1).

المبادأة والمغامرة:

توكل على الله واقتحم ولا تتردد في أعمال الخير، فالأعمال العظيمة يبدأها الشجعان بعد أن يعدوا لها ما يستطيعون من أسباب ووسائل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(2)، فلا تجبن ولا تضعف، ولا تخشَ إلا الله القاهر فوق عباده.

ومن مظاهر الإيجابية المسابقة إلى الخيرات، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، لأن واجبات الغد كثيرة، فلا تضف إليها ما تبقى من واجبات اليوم، نظّم وقتك ليستوعب أعمالك وواجباتك، يقولون (إن يوم العاجزين غدُ) وأفضل طريقة للتخلص من واجباتك أن تقوم بأدائها.

ومن مظاهر الإيجابية التفاؤل، فكن متفائلا، قابل الصعاب بروح وثابة، ابحث عما يدفعك لتجاوزها، ولا تظل تبكي حظك العاثر،

(1) راجع سيرة ابن هشام.
(2) سورة المائدة (23).

ووضعك وحالتك السيئة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، (احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ)[2]، لا تطلب من الآخرين القيام بأعمالك وواجباتك، انجز عملك بنفسك وحثّ غيرك على التسابق في أداء الواجب، ولا عبرة بالمقصرين، لا تقل أنا واحد من الناس ولو عملت ما يجب عليّ فلن يلتزم غيري، اجعل فعلك قدوة للآخرين، ولا يكن تقصيرهم حجة لتبرر به عدم قيامك بما يجب عليك.

خلاصة

إن أساس الإيجابية ومرتكزها؛ الإيمان بالله والتوكل عليه والثقة به، فاعرف واجباتك ولا تقارنها بتقصير غيرك، حتى لا يدفعك ذلك إلى تكبير العمل اليسير الذي تعمله، أو التقليل من شأن الخطأ الذي ترتكبه.

(إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً)[3]، فلتكن أنت من الرواحل التي تؤثر وتخدم وتنفع وترفع الأثقال وتتقدم الركب.

•~•~•~•~•

(1) سورة الشرح (5).

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الرفاق، باب: رفع الأمانة، رقم: (6498 / 1246) كما في البخاري ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم: (2547/ 1028) واللفظ له.

استغناء لا استجداء

أوجد الله الخلائق وتكفل بأرزاقها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]، لكنه جل جلاله أمر مخلوقاته ــ ومنها ــ الإنسان أن تسعى في الأرض وتبحث عن الرزق قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]، فقد هيأ الله الأرض وذللها للإنسان وبسط فيها الرزق لعباده، وعليهم أن يبحثوا وينقّبوا عن أبواب الرزق وما أكثرها.

وفي قصة مريم ــ عليها السلام ــ درس وعبرة، فعندما وضعت ولدها عيسى - عليه السلام - ولم يكن معها من يخدمها ويقدم لها الطعام أمرها الله أن تبذل الجهد -وهي في حالة ضعف وإجهاد بعد الولادة - وتهزّ إليها بجذع النخلة مع صلابته لتحصل على طعامها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[3]، إذ لابد من بذل السبب ليأتي العون من الله تعالى.

والسعي للحصول على الرزق لا يتنافى مع التوكل على الله، بل إن الدأَبَ مكمّلٌ للتوكل، كما هو حال الطيور التي تغادر

(1) سورة هود (6).
(2) سورة الملك (15).
(3) سورة مريم (25).

أعشاشها صباحاً وبطونها خاوية؛ فتذهب باحثة عن رزقها لتعود مساءً وقد امتلأت بطونها بما يسر الله لها من رزق قال صلى الله عليه وآله وسلم:(لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيِّرِ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1].

إن التّمرس على البحث عن الرزق - وعدم انتظار ما يعطيك الآخرون - يصنع شخصية مستقلة، مستغنية وقائمة بذاتها، تملك قرارها ولا تخضع لضغوط وتأثير من ينفق عليها، تقول: (نعم) متى شاءت، وتقول (لا) حين تريد، وأما أولئك الذين ينتظرون عطاء غيرهم، ويظل أحدهم يمدُّ يده لذوي اليسار فإنما يضعون أنفسهم في موقع الذليل المحتاج لفضل غيره، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى.

الاستجداء والسؤال وسيلة غير محببة لطلب الرزق، ولا يرضاها ذوو النفوس الكريمة، لأنها تفتح عليهم أبواب الفقر، وتضعهم في الموقف الأدنى والأضعف، جاء في الحديث الشريف: (ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وأُحدّثُكمْ حديثاً فاحْفظوهُ: ما نقص مالُ عبْدٍ مِنْ صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مظلمةً فَصَبَرَ عليها إلا زاده الله عِزًّا، ولا فتح عَبْدٌ باب مسْألةٍ إلا فَتَحَ الله عليه بابَ فقْرٍ..)[2].

(1) رواه احمد والترمذي وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(2) أخرجه أحمد والتِّرمذي وقال الألباني: صحيح.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لَئِنَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، ثُمَّ يَغْدُو - أَحْسَبُهُ قَالَ إِلَى الْجَبَلِ - فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعُ، فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٍ لَهُ مِنْ أَنَّ يَسْأَلَ النَّاسَ)[1]، وفي رواية أخرى عن الزبير بن العَوَّام رضي الله عنه مرفوعاً: (لأَن يأخذ أحدكم أُحبُلَهُ ثم يأتي الجبل، فيأتي بِحُزْمَة من حطب على ظهره فيبيعها، فَيَكُفَّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعْطَوه أو مَنَعُوه)[2].

والمنشغلون بالدعوة والتربية والإرشاد، والمتصدرون لخدمة المجتمع هم أولى الناس بالاستغناء عن استجداء غيرهم، حتى يقبل الناس عليهم، وينصتون لحديثهم وهم مطمئنون أنهم لا يريدون منهم منفعة خاصة، ولا جزاءً على ما يقولون ويفعلون، كما أن العَوَزْ وذلّ الحاجة يشتت الذهن ويجلب الهموم ويوقف التفكير بالإبداع أو خدمة الناس أو العمل على تربيتهم وتوجيههم، فكيف لمن يعاني أطفاله من الجوع أو تنقصهم الملابس أو تكاليف العلاج، أو لا يجد أولاده لوازم الدراسة، كيف لهذا أن ينشرح صدره فيتفرغ للدعوة إلى الله وتربية المجتمع وحث الشباب على معالي الأمور!؟ وكيف له

(1) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافاً) البقرة (273 ـ 288).
(2) (صحيح - رواه البخاري).

أن يقارع الباطل ويواجه الظلم في الوقت الذي يعود فيه إلى بيته صفر اليدين؛ محزوناً محسوراً مكسور الجناح، لعجزه عن توفير الضروريات لمن يعول!؟

من اللطائف أن أحد الأخوة المصريين صلّى العشاء والتراويح خلف إمام مشهور في أحد مساجد مكة المكرمة، وقد هاله كثرة المصلين الذين يأتون من جهات بعيدة يستمتعون بالصلاة والدعاء خلف هذا الإمام، وبعد أن فرغ من الصلاة وخرج من المسجد، لفت نظره أحد المصلين إلى برج سكني كبير، وقال له هل تعلم أن صاحب هذه العمارة هو الإمام الذي صلى بنا، فاستغرب الرجل وقال باللهجة المصرية :(أُمّال بيعيّط ليه!)، يقصد إذا كان هذا الإمام بهذا الغنى فما له يبكي وينتحب بتلك الحرارة وذلك الخشوع!؟ وكأن البكاء والخشوع شأن الفقراء والمساكين فقط! وما علم الرجل بأن الاستغناء عن الناس يجعل صاحبه يتجه إلى الله بقلبه وعقله وجسده، ويشعر بالاطمئنان، فلا يشغله همّ الرزق، بل يتمكن من التفرغ للعبادة والطاعة والدعوة.

وما أجمل أن يأكل المرء من عمل يده، ولنا أسوة حسنة بسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رعى الغنم في صغره، ثم عمل في التجارة لخديجة رضي الله عنها، وقال: (مَا أَكَلَ أَحَدُ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنَّ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ)(1).

وقد كان سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ نجاراً وهو أول من صنع السفن، وعمل سيدنا داود ـ عليه السلام ـ بالحدادة وصناعة السلاح، وكان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يتاجر بالقماش، أما نبي الله إدريس ـ عليه السلام ـ فقد كان خياطاً، وعمل نبي الله إلياس ـ عليه السلام ـ نساجاً للملابس، واشتغل سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بالرعي، وكان زكريا - عليه السلام - نجاراً، وعمل بالزراعة أنبياءُ الله يعقوب وإسحاق وشعيب عليهم السلام.

وعلى ذات النهج مضى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عمل أبو بكر الصديق وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام - رضي الله عنهم - بالتجارة، وكذلك عثمان بن عفان مجهز جيش العسرة - رضي الله عنه

(1) رواه البخاري في كتاب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: (2072/ 391).

- كان يعمل في تجارة الثياب، ومثله طلحه بن عبيدالله رضي الله عنه.

أما سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فقد كان يعمل في نسج خوص النخيل فيصنع منه الحصير والسلال ونحوها، واستمر على ذلك حتى وهو أمير على المدائن، ولما قيل له لم تعمل هذا وأنت أمير ويجري عليك رزق؟ قال: (إني أحب أن آكل من عمل يدي).

وهذا عثمان بن طلحة حاجب البيت الحرام وسهل بن سعد - رضي الله عنهما - كانا يعملان في خياطة الملابس، وعمل البراء بن عازب وزيد بن أرقم - رضي الله عنهما - في مهنة الصرافة واستبدال النقود، وكان أبوعبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة - رضي الله عنه - يعمل في حفر القبور، وكان الأنصار - رضي الله عنهم - يشتغلون بالزراعة لخصوبة تربة المدينة المنورة.

وتاريخنا حافل بنماذج للعلماء والدعاة الذين جمعوا بين همّ الدعوة وطلب الرزق فأوجدوا لهم مصدراً للكسب الحلال؛

فكانوا يمارسون حرفة أو مهنة يأكلون منها ويستغنون بها عن الناس.

فالإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت وهو أحد أئمة المذاهب الفقهية المشهورة - رضي الله عنه - نشأ في أسرة غنية لكنه عمل بالتجارة، وظل في ذلك أكثر حياته فاكتسب خبرة في العُرف والعادات والمعاملات وطرق البيع والشراء ساعدته على فهم القرآن والسنة واستنباط الأحكام منهما.

كثير من العلماء والدعاة والساسة المشهورين الذين لديهم استغناء ولا يحتاجون عوناً مادياً من غيرهم، يوَجّهون ويصدحون بكلمة الحق ويقولون آراءهم بصراحة، ويتخذون مواقف قوية من الأحداث ولا يخافون أحداً غير الله، بينما يفكر المحتاجون ألف مرة قبل أن ينطلقوا في نصحهم ودعوتهم والتعبير عن آرائهم.

إن الكسل والخمول وانتظار الرزق من دون جهد ليس سوى دأب العاجزين، كما أن الاعتماد على الوظيفة العامة يبقي صاحبها في حالة حاجة دائمة، ما لم يفكر في عمل آخر ويقول

أصحاب التجربة بإن الوظيفة العامة أضيق أبواب الرزق..

في كل مجتمع أشخاص كُثُر، تراهم دائمي الشكوى من قسوة الظروف وقلة ذات اليد، فإذا قلت لأحدهم لماذا لا تبحث عن عمل؟ بادرك بالقول: هات لي عملاً وستجدني جاهزاً؛ وكأنك أنت المعني بأمره، أما هو فليس مسؤولاً عن نفسه! ومثل هذا قد تحاول مساعدته لتبحث له عن عمل ما، لكنه قد لا يلتزم ولا ينضبط، فيكثر الغياب والتقصير ويبحث عن الأعذار، فيستغني عنه صاحب العمل، فإذا به يشكو من تعسف رئيسه في العمل الذي يظن أنه يتقَصّده ويحصي عليه هفواته، وأن ظروف العمل لم تعد مواتية، وهكذا يفني عمره متضجراً حزيناً محسوراً.

ولكن عندما يُعمل الإنسان عقله ويفكر في الاستغناء عن الناس ويبذل الأسباب فإنه يجد العون والتوفيق من الله الذي يعطي ويكرم من يساعد نفسه.

وفي الحياة نماذج رائعة استطاعت أن تشق طريقها في الحياة بعزيمة وإرادة قوية، وحققت أكثر مما كانت تحلم به،

وقد عرفتُ نماذج من هؤلاء المتوكلين على الله والباحثين عن الرزق الحلال، تحوّلوا إلى أثرياء ومنفقين، انتقلوا من الاستجداء إلى الاستغناء، ولكل منهم قصة نجاح بدايتها توفر العزيمة والإرادة، فتمكنوا من تخطّي الصعوبات، وكرروا المحاولات حتى وصلوا إلى أكثر مما توَقّعوه، من هؤلاء النماذج الفريدة الحاج هائل سعيد أنعم الذي بدأ مسيرته التجارية عاملاً، وبالهمة والنشاط أقام مجموعته التجارية التي أصبحت أكبر المؤسسات الاقتصادية العملاقة في اليمن، وقد امتد نشاطها إلى بعض الدول العربية، وإلى دول شرق آسيا وبعض الدول الإفريقية وغيرها، وفي كتابي رواد من اليمن ذكرت بعض نماذج لأعلام بدأوا حياتهم من الصفر، واستطاعوا خلال عقود من الزمان أن يتحولوا إلى قائمة الأغنياء المحسنين والمنفقين[1].

عرفت موظفاً كان يعمل سائق سيارة في مؤسسة حكومية يتقاضى مرتباً لا يسد حاجته، ثم واتته الفرصة ودخل في مزايدة شراء سيارات مستعملة لإحدى الشركات وفاز بها، ولم تمض عليه فترة حتى أتقن مهارة استيراد المركبات من الخليج

(1) لمزيد من الأمثلة يراجع كتاب الأستاذ أحمد قائد الأسودي (اكتشف مدَارَك) صادر عن مركز القرن 21 للتجديد والتنمية.

ومن أوروبا، وصارت له عدة معارض لبيع وشراء السيارات في أكثر من مدينة، وأصبح يملك الأراضي والعقارات، ومع ذلك ظل محتفظاً بتواضعه وعلاقاته الطيبة بزملائه وأصدقائه الذين عرفهم وقت العوز والحاجة.

نموذج آخر لرجل أصيب في حادث مروري سبب له شللاً في النصف الأسفل من جسده، لكنه لم يستسلم للعجز، ففتح محلاً لبيع المواد الغذائية وتوسع ميدان العمل أمامه فاشترى سيارة لتوصيل الطلبات إلى المنازل، وعلى الرغم من عجزه الجسدي فإنه يقوم بقيادة السيارة بنفسه مستخدماً يديه بدلاً عن رجليه عن طريق قضبان حديدية أوصلها بالفرامل ودوسة البنزين وتغيير السرعة، ووظّف معه عمالاً يقومون بالتحميل والتنزيل، وفي منزله صنع له مصعداً بدائياً يرفعه من الدور الأرضي إلى الدور الأعلى، فعلى رغم إعاقة هذا الرجل إلا إنه أغنى نفسه، وأوجد فرص عمل لآخرين، بينما كثير من الأقوياء الأسوياء عاطلون عن العمل ونجدهم فاقدي الأمل، تضيق الدنيا الواسعة في وجوههم فتغدو في نظرهم كأنها خرم إبرة!

وتعرفت على مريض أصيب بطلق ناري عن طريق الخطأ، وسبب له ذلك تقرحاتٍ وجروحاً غائرة في فخذيه وساقَيْه استوجبت إجراء عملية جراحية له، وحتى لا يسري المرض إلى سائر جسده قرر الأطباء بتر رجليه اليمنى واليسرى من أعلى الفخذين، وقد تابعت حالته حتى كتب الله له الشفاء، ومع هذه الإعاقة فإنه جمّع مدّخراته وفتح بها عملاً يُدِرُّ عليه رزقاً، ثم انقطعت صلتي به وبعد سنوات سألت عنه من عرّفني بحالته، فأخبرني أنه قد أصبح يملك قاطرة كبيرة يؤجرها لنقل البضائع بين المدن! إنها الإرادة والعزيمة وعدم الاستسلام للعجز، مع بذل السبب والتوكل على الله تعالى.

والأمثلة كثيرة لأشخاص بنوا أنفسهم من نقطة الصفر وأصبحوا من الأثرياء الأغنياء المنفقين، مع أنهم لم يعتمدوا على تركة ورثوها عن الأباء والأجداد، ولم تتهيأ لهم فرص استثنائية حصلوا عليها عن طريق مراكز نفوذ رسمية أو اجتماعية، بعضهم هاجر إلى بلد الاغتراب وتعرف على الفرص المتاحة هناك، وبدأ العمل والكدّ فلم تمضِ عليه فترة حتى فتح الله عليه، وأصبح من رجال الأعمال الذين يُشار

إليه بالبنان، وغدا ممن يحظى بالتقدير والاحترام الاجتماعي والرسمي!

ومن المفارقات أن نجد بعض الذين يحملون الشهادات العلمية العليا، ومثلهم بعض حملة العلم والفكر، ومثلهم بعض الشباب الأقوياء الأصحاء، يعيشون ضائقة في العيش، وفي حالة يرثى لها من العوز والحاجة والفقر، فليس لديهم عمل يدر عليهم رزقاً، وكان بمقدور هؤلاء وأولئك أن يُعمِلوا فكرهم ويبذلوا جهدهم، ويبحثوا عن رزقهم، ويمكنهم أن يبدأوا بعمل يسير ومحدود، ثم يطوروا ذلك العمل بالتدريج وسوف يفتح الله عليهم أبواب الرزق، قد يتعرضون للفشل مرة ومرتين وثلاث، لكن عليهم أن يستمروا في المحاولات فلا يدري أحدهم أين سيكون رزقه؟ ويحسن بهم أن لا يتشاءموا أو يظن أحدهم بأنه سيئ الحظ، ويقال: (المتفائل يجد فرصة في كل صعوبة، والمتشائم يجد صعوبة في كل فرصة) وعلى النقيض من هؤلاء الكسالى والحيارى نجد بعض أصحاب الطموح يتسرعون في تبني مشروعات كبيرة وغير مدروسة، غالباً

ما تكون فوق طاقاتهم وأكبر من إمكاناتهم، وإذا بهم يصطدمون بالواقع ولا تنجح مشروعاتهم، بل يتعرضون للخسارة، ويدخلون في ديون والتزامات لا يقدرون على الوفاء بها، وكان الأحرى بهؤلاء أن يأخذوا بسنة التدرج فيبدأوا بمشروعات صغيرة ثم يتوسعوا بها تدريجياً ليتمكنوا من تطوير نجاحاتهم، وإذ حدثت لهم خسارة فسيتم تلافيها مبكراً.

إن المال نعمة من الله تعالى، ويجب أن يستخدم في جوانب الخير المتعددة، وليست قاعدة عامة بأن كل من يملك مالاً وثروة يصبح جشِعاً طمِعاً أو حريصاً على الدنيا، فكثيرون يُسخَّرون ما أعطاهم الله في منفعة أنفسهم وأهلهم وأقاربهم وأصدقائهم، أو في خدمة المحتاجين أو في إقامة المشروعات التي تعود بالنفع على المجتمع، والمهم أن يكون المال في يدك لا في قلبك، ونبي الله سليمان دعا الله أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله ما لا يخطر على بال، إلا إنه ظل حامداً شاكراً لله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

تبدو الحاجة ماسة لبناء ونشر ثقافة الكسب الحلال إبتداءً من الأسرة ومؤسسات التربية والتوجيه ووسائل الإعلام المتعددة، ليغدو العمل والأكل من عمل اليد سلوكاً مطّرداً في حياتنا، حتى تنتهي البطالة بين القادرين على الكسب، وتنشغل الأمة كلها بالعمل والإنتاج، ولتخرج شعوبنا من مربع العوز والحاجة واستجداء الدول والمنظمات وأصحاب الأموال، سواءٌ أعطوا أو منعوا.

التنشئة من الصِّغر

أخبرني أحد الزملاء أنه عوّد أولاده منذ صغرهم على إدارة شؤونهم المالية بحيث يتعلمون كيف يحسنون التصرف فيما يملكون من مال، وأنه كان لا يعطيهم مصروف المدرسة كل يوم، بل يدفعها لهم مرة واحدة كل شهر، وعلى الطفل أن يضع لنفسه موازنته الخاصة فيصرف ما يحتاج، ويستغني عن غير الضروري، ويدّخر ما يقدر عليه كل شهر، فيهدي منه أو يتصدق أو يشترك مع غيره في مشروع يدر عليه

(1) سورة النمل (19).

ربحاً، فضلاً عن توقفه عن طلب مال إضافي من والده كلما احتاج، وقد تبدو الفكرة غير عملية عند من لم يتعود عليها، ولا سيما إذا كان مصروف الطفل اليومي لا يكاد يكفي قيمة وجبة خفيفة، لكن الفكرة أن يتدرب أولادنا الذكور منهم والإناث على الاستغناء والكسب الحلال، وخلال سنوات سنلحظ أن الفكر الاقتصادي قد بدأ ينمو ويتطور عندهم، وأن هناك فرق كبير بينهم وأضرابهم ممن لا يتوقفون عن الطلب من آبائهم وأمهاتهم نقوداً كلما رغب أحدهم بشيءٍ تتوق إليه نفسه!

وأتذكر قصة مؤثرة لأحد طلابي وكان في الصف الخامس ابتدائي، وهو من أسرة محدودة الدخل، كان ذكياً ومن التلاميذ المتميزين، لكن نشاطه توقف فجأة وبدت عليه مظاهر الحزن والكآبة، فجلست معه خارج الصف وسألته عن حاله، وتبين أنه كان يوفر من مصروفه اليومي حتى جمع مبلغاً نافعاً أراد أن يفاجئ به والده ووالدته التي كانت تنتظر مولوداً جديداً، وأحبّ أن يقدم ذلك المبلغ مساهمة في نفقات ولوازم الولادة، لكن أخاه الأصغر أخذ المبلغ من

مخبئه، وذهب به إلى أقرب دكان فأخذه منه وأعطاه القليل من الحلوى، وبدد حلمه في إدخال الفرح على قلبي والديه، فتألم واكتأَبَ وأظلمت الدنيا في وجهه، ناقشت الأمر مع بقية مدرسيه، وتم حل المشكلة بجمع ما يساوي المبلغ الذي فقده، فعادت إليه الحيوية والنشاط والجد والاجتهاد، أما العبرة ففي ذلك الخلق العظيم الذي تحلى به طفل في الحادي عشر من عمره، وشعوره بالمسؤولية في ذلك السن، وذلك ينبئ عن مستقبل واعد ينتظره.. ترى كم نحن بحاجة لتنشئة أولادنا على الثقة بأنفسهم وتدريبهم على تحمل المسؤولية من صغرهم.

إن الحديث عن الاستغناء يجب أن يؤخذ بقدره وسياقه، فإني هنا لا أدعو للتكالب على الدنيا أو الانقطاع لجمع حطامها، فيكفي المرء القليل من متاعها الزائل، لكني أردت لفت الانتباه إلى أهمية الاستغناء عن الناس، والحرص على أن يقف شبابنا على أقدامهم، وأن يعتمدوا على الله أولاً ثم على جهدهم ونشاطهم، وأن يكون لكل منهم مشروعه الاقتصادي الخاص الذي يساعده على حمل همومه الخاصة

والعامة المتعلقة بأسرته أو مجتمعه، فيكونوا أصحاب رسالة خير وحب لأمتهم، وحاملي مشروع بناء وصلاح لأوطانهم، واثقين من أنفسهم لا عالةً على غيرهم، ليتحولوا من الأخذ إلى العطاء، ومن الاستجداء إلى الاستغناء..

•~•~•~•~•

فن التعامل مع الآخرين

يختلف الناس في طبائعهم وبيئاتهم وعقولهم وعاداتهم واهتماماتهم ورغباتهم، كما يختلفون في تفكيرهم، وتحديد الأولويات عند كلٍ منهم، فما يراه هذا أمراً كبيراً قد يراه غيره شيئاً لا يستحق الاهتمام، وما يحزن هذا قد يفرح ذاك، لذلك يجدر بك أن تتعرف على طبائع النفوس، والفروق بين الناس، واحرص أن تراعي تلك الفوارق في تعاملك معهم.

والقادة والروَّاد، والدعاة إلى الله أولى من يجب أن يهتم بمعرفة طبائع وصفات الناس وعاداتهم ليحسنوا التعامل معهم، لأنهم يلتقون كل شرائح المجتمع، ويتعاملون مع فئات متفاوتة في أعمارها وثقافتها، ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحتاج كل فئة لمراعاة خصوصيتها واهتماماتها، وذلك يقتضي الصبر والتصبر وتحمل ذلك الاختلاف والتفاوت، حتى يتمكنوا من إيصال المبادئ والقيم العظيمة التي يبشرون بها إلى قلوب الجميع.

وقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال:(وَلَوْ كُنْت فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[1]، وقال: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ماعنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[2]، وأمره أن يُصبِّر نفسه مع المساكين

(1)سورة آل عمران (159).
(2) سورة التوبة (128).

والضعفاء الذين يهملهم الناس ولا يلقون لهم بالاً، قال جل جلاله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[1].

الاختلاط بالناس مع اختلاف طبائعهم فيه مشقة على النفس، حيث ستتعامل مع العاقل والأحمق، والعالم والجاهل، والكبير والصغير، مع البدوي والمتحضر، ومع الغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، ولابد لك أن توطّن نفسك على تحمّل ما يصدر عن هؤلاء من أقوال أو أفعال أو تصرفات قد تؤذيك وتزعجك، وعندما تكون صاحب فكرة ودعوة ورسالة في الحياة، فعليك بالصبر والتصبر، والحلم والتّحلُّم لتحسن عرض ما لديك من قيم ومبادئ وأفكار، وذلك أفضل من الانعزال عن الناس، والابتعاد عن مجالسهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنْ المؤمنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)[2].

(1) سورة الكهف (28).
(2) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني.

إن الابتعاد عن مخالطة الناس اتقاء شرهم أو خُلُوصاً من مشكلاتهم، هو الاستثناء في الحياة التي أوجد الله فيها الإنسان ليعيش مع أخيه الإنسان، وليبلوَ بعضنا ببعض، ويخدم كلٌ منا الآخر، مع أنك إذا قررت الانعزال عن المجتمع فلا يعني أنك ستسلم من الأذى، أو تظن بأنك لن تتعرض للابتلاء والامتحان، قال ابن الوردي[1] :

لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَانْ حَاوَلَ الْعُزْلَةِ فِي رَأْسِ جَبَلِ

إن حسن التعامل مع الآخرين يقتضي الحرص على عدم جرح مشاعرهم، واختيار الكلمات المناسبة التي تنشرح لها نفوسهم، والابتعاد عن العبارات التي تشعرهم بالازدراء أو الاحتقار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

احرص على اختيار كلماتك، كن واسع الصدر، وإذا عفوت وسامحت فلا تتذكر إساءة من أساء إليك، ولا تُعِدْها على لسانك،

(1) عمر بن المظفر، فقيه وأديب وشاعر توفي عام 749هـ / 1349م.
(2) سورة الحجرات (11).

فليس من الشهامة أن تسامح ثم تعود للعتب والملاومة، ولك في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة فقد عفى عن أهل مكة بعد أن آذوه وأخرجوه من مكة، ثم حاربوه في دار الهجرة، لكنه سامحهم، بل وأكرمهم بعد غزوة حنين فأعطاهم الغنائم وحرم منها المهاجرين والأنصار، فكان ذلك أدعى لتوقيره وتعظيمه في نفوسهم، وعرفوا أنهم أمام رسول ربانيّ لا يحمل حقداً، ولا يستأثر بدنيا دونهم، وعندما يقدر فإنه يرحم وأبعد ما يكون من الانتقام.

لقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه عبس في وجه الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[1]، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشغولاً بدعوة كبار القوم، فتضايق وتغيّر وجهه لقطع حديثه من قبل ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

وهنا جاء التوجيه الإلهي ليظل درساً لكل مسلم وكل

(1) سورة عبس (31).

داعيـة بـأن لايسـتهين بمشـاعر النـاس وأحاسيسـهم حتـى وإن كانـوا غـير مُتَنَبِّهـين لذلـك، كـما هـو حـال عبـد الله بـن أم مكتـوم رضي الله عنـه الـذي لم يـرَ وجـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم حـين عبـس لأنـه كان كفيفـاً، ومـع ذلـك جـاء هـذا العتـاب الربـاني لنبيـه الكريـم توجيهـاً لـه وتربيـة لأمتـه، وتنفيـذاً والتزامـاً بأمـر الله، ظـل عليـه الصـلاة والسـلام يهـشّ في وجـه ابـن أم مكتـوم كلـما قابلـه، قائـلاً (أَهْـلًا بِمَـنْ عَاتَبَنِـي فِيـهِ رَبِّي).

وإذا كان بإمكانـك أن تأمـر وتنهـى وتـؤدب وتعلِّـم مـن دون التصريـح بالأسـماء، فذلـك أولى، ولـك في رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم أسـوة حسـنة الـذي كان يقـول: (مـا بـال أقـوام؟) بـدلاً مـن فضحهـم والتصريـح بأسـمائهم؛ حتـى المنافقـين فإنـه لم يُسِـرْ بأسـمائهم إلا لأحـد الأمنـاء وهـو حذيفـة بـن اليـمان رضي الله عنـه، رجـاء أن يهديهـم الله ويصلـح شـأنهم، فـلا يقطـع أمامهـم طريـق الإيـمان والتوبـة ممـا هـم عليـه مـن النفـاق.

إن خيطـاً رفيعـاً يفصـل بـين الجهـر بكلمـة الحـق ومراعـاة

حال المدعوين الذين ربما كانت حاجتهم إلى الكلمة الحانية أو المشجعة ليسيروا في طريق الهدى، أكثر من الشدة والغلظة في القول، وهناك فرق بين الانتصار للذات والغيرة على المبادئ، فقد تتنازل عن حقك أو مصلحتك الخاصة ويظهر أنك قد خسرت الموقف لكنك ربما كسبت القلوب وأجبرت أصحابها على احترامك وتقديرك، وليكن كسب المواقف فقط انتصاراً للمبدأ ودفاعاً عن العقيدة وغيرةً على الإسلام، وليس انتصاراً للنفس، وانتقاماً للذات، ألم يكن صلى الله عليه وآله وسلم سمحاً مع من يسئ إليه، ولكن لا يقف لغضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله!؟

خدم أنس بن مالك رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين، فلم يقل له لشيء فعله لِمَ فعلته؟ ولا لشيء تركه لماذا تركته؟ إنها صورة عظيمة للمحافظة على مشاعر هذا الصبي الصغير، وعدم توبيخه أو إيذائه بكلمات جارحة، مع أنه لصغر سنه وقلة تجربته يخطئ ويقصّر لكنها التربية النبوية التي تعلِّمُنا كيف نحسن التعامل مع الآخرين حتى وإن بدا أنهم من أقل الناس شأناً.

لقد أُمِرنا أن ننادي الناس بأحب الأسماء إليهم، فنذكر كنية الشخص ونقول: يا أبا فلان، أو بما عرف عنه: يا أستاذ فلان، يا مهندس فلان، يا عم.. إن هذا النداء يقع منه موقعاً حسناً بدلاً من مناداته باسمه مجرداً.

وإن حسن التعامل مع الآخرين يقتضي إنزال الناس منازلهم، ففي الحديث:(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفُ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)(1).

ولابد أن يذهب الالتباس الذي يقع فيه البعض عندما يظن أحدهم أن مخاطبة ذوي السلطات بمناصبهم قد يكون ضعفاً أو تزلفاً، فيعمد إلى أسلوب الشدة والغلظة، مع أنه يمكن بحسن التعبير ولين الجانب أن يوصل رسالته لتكون أبلغ حُجة وأكثر تأثيراً، وربما كانت سبباً في جلب خير للناس أو دفع ضر عنهم.

إن تقدير الرجل المسن والمرأة العجوز من أخلاق المسلم الذي يجب عليه أن يعطي الكبار تقديرهم ويراعي مكانتهم، وينزلهم المنزلة اللائقة بهم، لأنهم في مقام الآباء، حتى وإن كانوا

(1) حديث حسن أخرجه أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قليلي الحظ من العلم أو الجاه، وكذا الحال مع الطفل الصغير الذي يحسُن أن يحظى بالعطف والحنان والرحمة، وعندما يخطئ يتم التلطف في تأديبه وتعليمه ليتربى عزيزاً كريماً، ويتعلق قلبه بحب هذا المربي فيعمل على محاكاته بعد ذلك.

إن كل إنسان له قيمةٌ وقدرٌ مهما كانت مهنته، فإياك أن تهوّن من شأن الآخرين، فكل فرد يرى أنه يقوم بعمل مهم يخدم فيه المجتمع، فلو جلست إلى حارس أو طباخ أو قصاب، أو عامل أو بائع أو مراسل ستجد أن لكل واحد من هؤلاء فلسفته الخاصة ونظرته للحياة، ويرى أنه يقوم بمهمة كبيرة لو تركها سيحدث فراغ كبير في الحياة العامة، وستضيع مصالح الناس، ولهذا يجب عدم الاستهانة بأي شخص مهما كان عمله أو مهنته، أما قدره عند الله فقد يكون أعظم وأكبر من أصحاب المظاهر والجاه والسلطان والمال والعلم، وفي الحديث: (رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ)(1).

ومن خلال تعاملك مع الناس ستلتقي أفراداً مزعجين؛ كل شيء في نظرهم ليس على الوجه الصحيح: تصرفات الناس

(1) أخرجه مسلم في باب: فضل الضعفاء والخاملين، رقم(2622/ 1053).

سيئة، وأحاديثهم لا تعجِب، وتعاملهم ليس فيه احترام، وفعل الخير والإحسان إلى الفقراء والمساكين ليس سوى رياء وسمعة، حتى الطقس والهواء - في نظرهم - دائماً سيئ ومزعج، هؤلاء لا يخلو منهم مجتمع من المجتمعات، والأولى عدم الدخول معهم في جدال، وإذا حدث فليكن بقدر محدود، فهم ربما يعيشون أزمات نفسية، أو تعرضوا لمشكلات أفقدتهم الثقة في كل شيء حولهم، وقد ينفع معهم التوجيه غير المباشر، وعدم الرد على كل ما يطرحونه.

وإن حسن التعامل مع الآخرين يقتضي التحلي بالأخلاق الإسلامية الراقية، كالبشاشة وبسط الوجه، والتبسم في وجوه الناس، وفي الحديث الشريف: (أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا)[1].

ومن حسن الخُلق إفشاء السلام فهو رسالة مودة وأمن، فلا تخص به من تعرف فقط، كما يحدث عندما يلتقي أحدهم بعدة أشخاص فإذا به يسلم على واحد أو اثنين ويهمل من بجوارهما سواء كان ذلك بإلقاء السلام أو المصافحة، إن مثل هذا التصرف

(1) حديث حسن أخرجه أحمد وابن ماجة والطبراني والبيهقي عن أبي ثعلبة الخشني والترمذي عن جابر رضي الله عنهم.

يشعر هؤلاء وكأنهم لا يستحقون التقدير والاحترام، وهذا السلوك يصنع حواجز نفسية ربما تتطور إلى القطيعة أو العداوة.

إن حسن الخلق باب واسع من أبواب عرض رسالة الإسلام السمحة، وخيره يمتد إلى الآخرة، ولا يقتصر على الدنيا فحسب، فقد سألت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المرأة تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة يموتون عنها في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها، فمع من تكون؟ فأخبرها أنها تُخيّر، فتختار أحسنَهم خُلُقاً وقال لها: (يا أم سلمة؛ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة)[1].

إن كثيراً من الناس حدثتْ لهم نقْلةٌ في حياتهم من الضياع والانفلات إلى الصلاح والالتزام، لأنهم تأثروا بخلق حسن لأحد الدعاة أو العلماء أو الوجهاء، أو لأنهم رأوا صورة للكرم أو التسامح أو التضحية أو التواضع من قبل أحد القادة او الدعاة.

وإن حسن التعامل مع الآخرين يقتضي أن نتعلم كيف نحسن الحديث معهم، وكيف نختار من العبارات ما يوصل

(1) أخرجه الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها في صفة نساء الجنة

المعنى المراد بكلمات غير جارحة، قال الله تعالى:﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾(1).

وعلى سبيل المثال قد تسمع كلاماً لا يعبر عن الحقيقة، وربما يكون كذباً، فإذا أردت أن تفنّد ذلك يمكنك أن تقول: (لا أعتقد أن ذلك صحيحاً) أو (لدي معلومة تخالف هذا) أو (لعل الذي نقل إليك الخبر لم يكن دقيقاً) أو (الرواية لا تعبر عن الحقيقة كاملة)، إن مثل هذه العبارات أفضل من قولك: (أنت كذاب) أو (هذا هراء وافتراء...) لأن مثل هذا الرد الصادم يدفع الآخر إلى التعصب والدفاع عن مقالته ولو بالباطل، بينما العبارات السابقة تؤدي نفس المعنى، وتحَفّز الآخر على تقبل النقد.

وإذا تكلمت احرص أن لا تتحدث إلا حسب الحاجة حتى لا يمل الحاضرون، ولا تدخل في حديث لا تعلم مقدمته، ولا تمدح نفسك كأن تقول: (أنا لا أقول إلا الحق) (أنا من طبيعتي قول الصدق دائماً)، (أنا لا أحب المجاملة، وتعجبني الصراحة)...إن هذه التزكية تكتسب

(1) سورة الإسراء (53).

قيمتها عندما يقولها الآخرون عنك، والناس يكرهون من يكثر من قول (أنا) ولايحبون من يمدح نفسه حتى لو كان صادقاً.

وإذا كان للحديث أدب يجب مراعاته؛ فإن للاستماع أدباً آخر لابد من التعود عليه، ويحتاج إلى صبر وتصبُّر، لأن المتحدث ربما أورد قصصاً قد سمعتها لعشرين مرة، ومع ذلك فعليك أن تظهر الاهتمام وتحسن الإنصات، ولكي تفهم الناس لابد أن تستمع إليهم، والذي لا يسمع لا يتعلم.

قد يختلف المتحدث معك فيما تعتقده أوتراه، ومن حقه عليك أن تستمع إليه، وتترك له الفرصة ليوضح فكرته، وبذلك تتمكن من الرد أو توضيح ما التبس عليه، وربما اقتنعت في النهاية برأيه إذا كان على صواب.

إن الاستماع لحديث الآخرين يجعلك تفهم كيف يفكرون؟ وما اهتماماتهم؟ وما القضايا التي تمثل أولوية لديهم؟ وما الآراء المشتركة التي هي محل اتفاق معهم..

وقد تتحدث أنت وينصت لك غيرك من دون أن يقول

شيئاً إما لأنك لم تعطه فرصة الحديث، أو لأن الموقف العام لا يسمح له بتوضيح رأيه، لكن ذلك يحرمك من معرفة مختلف الآراء ويفوّت عليك الفرصة لتزيل الشبهات العالقة، وتوضح القضايا الملتبسة.

علينا أن لا ننسى أننا بحاجة أن نتعلم من غيرنا، وأن في كل رأس فكرة، وأن حكمة قد تأتي من نكرة من الناس، كما أن الاستماع يفيدنا في معالجة القضايا التي تشغل تفكير الآخرين، وربما وفر علينا الاستماع جهداً ووقتاً في مناقشة مشكلات غير موجودة، أو الاقناع بمفهومات هي في الأصل محل اتفاق.

إن حسن التعامل مع الناس يقتضي أن تتعود على العفو والتسامح، ويحسن أن لاتتوقف كثيراً عند بعض الإساءات، أو محاولات الانتقاص من هيئتك أو عباراتك، اقبل عذر من اعتذر إليك وإن كنت تلمس أنه غير صادق، ولا تكثر من اللوم والعتاب، حاول أن تحسن إلى من يسيء إليك، تذكر إحسان غيرك، وانسَ إساءاتهم القريبة أو القديمة، تغافل عن تصرفات بعض الحمقى كأنك لم تسمعها.

هناك قضية أخرى يهملها أكثرنا، مع تأثيرها الكبير في النفوس، إنها قضية الثناء والشكر للآخرين على عطائهم، أو أفعالهم الحسنة، أو كلماتهم الصادقة، أو استجاباتهم لما يطلب منهم، وفي الحديث الشريف: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)(1).

لقد تعود الناس أن يسمعوا العتاب والتأنيب على تقصيرهم، ويعرفوا ما المطلوب منهم، لكنهم قليلاً ما يسمعون كلمة شكر وتقدير على أفعالهم الحسنة، مع أن عبارات الثناء الصادق تنزل برداً وسلاماً على من يستحقها، وتجعله ينسى الجهد الذي بذله، والعطاء الذي قدمه، وقد جعل الله الشكر صفة عظيمة لا ينالها إلا القليل من الناس قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(2).

وأمر مهم يجب مراعاته وهو أن تتصرف التصرف المناسب للموقع والمكان الذي تكون فيه، وهو ما يسمى بنظرية (الدور) عند علماء الإدارة، فإذا كنت خطيباً ينصت إليك المستمعون، أوكنت مسؤولاً في مؤسسة ينفذ الموظفون توجيهاتك، أو مديراً في شركة يلتزم الجميع بأوامرك، فلا

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي عن أبي سعيد.
(2) سورة سبأ (13).

تعتقد أن هذا ينطبق على تصرفاتك أينما ذهبت، تذكر أنه مهما كانت منزلتك فعليك أن تعامل الناس بمقتضى الحال الذي أنت فيه، انسَ أنك مدير أو خطيب أو مسؤول دائماً، فأنت في البيت أب أو زوج، وإن كنت في متجر فأنت مشتر يتعامل معك البائع مثل غيرك من الزبائن، وإن كنت تقود السيارة فلابد أن تلتزم بقواعد المرور، وإن دخلت المسجد لصلاة الجمعة فعليك الإنصات للخطيب ولو كنت أكثر علماً منه.

لا تتوقع أن تجد التقدير والاحترام ممن لا يعرفك ويجهل مكانتك، فلا تكتئب أو تغضب لأن الحاضرين لم يقدروك، وبإمكانك أن تفرض احترامك بسلوكك السوي، وأخلاقك الحسنة، وبشاشتك والتزامك بالنظام العام.

عندما تكون هيئتك تدل على أنك مسلم ملتزم فإن المخالفة منك تصبح محل استغراب، وستلاحقك نظرات الازدراء والتعجب، فلا تضع نفسك في موضع الاتهام، وتذكر أن الناس لا يفرقون بين الدعوة والداعية، وبعضهم

ربما أعرض عن الإسلام بسبب سوء سلوك بعض دعاة الإسلام - وإن كان ذلك ليس مبرراً لهؤلاء المعرضين - وإذا لم تكن حاملاً لدعوة الخير، فلا تكن سبباً في الصدّ عن سبيل الله.

سنظل بحاجة أن نتدرب على أساليب حسن التعامل مع الآخرين، فنبتسم في وجوه الناس، ونصبر على أذاهم، ونصل من قطعَنا، ونعطي من حرمنا، ونحسن إلى من أساء إلينا، لنصل إلى قلوب كل البشر، ونكسب مودتهم.

وهكذا أيها الكرام يجمُل بكم أن تكونوا فاعلين في المجتمع، تؤثرون فيه وتتأثرون به، تنفعون الناس وتدخلون السرور إلى نفوسهم، وتعملون لقضاء حوائجهم، فالتعامل الحسن لا يقف عند حدود الكلمة الطيبة فحسب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم؛ تكشف عنه كَرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولو أن تمشي مع أخيك في حاجته أحب إليّ من أن تعتكف شهراً)[1].

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (6027)، والمنذري في الترغيب والترهيب (3/ 265)، والألباني في صحيح الترغيب برقم (2623)، وقال صحيح لغيره.

وهاكم قاعدة قرآنية فيها الخلاصة لأسلوب التعامل مع الآخرين: قال الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ)[1].

إذاً اقبل ما سهل وتيسر من أخلاق الناس وأفعالهم، وتجاوز عن من يخطئ منهم، وتلطّف في الأمربالمعروف، ولا تعامل السفهاء بمثل جهالتهم، بل كن حليماً وكأنك لم تسمع سوء مقالتهم، فذلك أدعى للتأثير عليهم.

•~•~•~•~•

(1) الاعراف (199) .

استثمر وقتك

الحياة هي الزمن الذي تقضيه بين الميلاد والوفاة، وما ذهب من وقتك لا يعود إلى يوم القيامة، فعداد الوقت يبدأ منذ خروجك إلى الدنيا ولا يتوقف حتى آخر نفَس في حياتك، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَواني

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها فَالذِكرُ لِلإِنسانِ عُمرٌ ثاني

الوقت مساحة متاحة للإنسان للعمل والانتاج، وبناء الحياة على البر والتقوى، وعمارة الأرض بما ينفع ويفيد، والحصيف لا يستفيد من الوقت فقط، وإنما يجعله رأسمال يستثمره ليجني منه الأرباح في الدنيا والآخرة.

والوقت نعمة من الله وفرصة يجب اغتنامها لأنها لا تتكرر، ومن خصائص الوقت أنه لا يقف محايداً، فإن لم تجعله صديقاً ودوداً تستفيد منه، صار عدواً لدوداً يطوي أيام عمرك ثم يصيبك بالحسرة في الدنيا، والندامة في الآخرة، فإياك أن يتفلّت من بين يديك بالغفلة والإهمال، أو إضاعته في لغو أو لهو ولعب، أو في أعمال هامشية لا تفيدك دنيا ولا آخرة، قال صلى الله عليه

وآلـه وسـلم:(نِعْمَتَانِ مَغْبُـونٌ فيهـما كثيـرٌ مـن النـاس: الصحـةُ، والفـراغُ)[1].

ولأهمية الوقت أقسم الله بـه - والله لا يقسم إلا على شيء عظيم - قال تعالى: (وَالْعَصْرِ إِن الإنسان لَفِي خُسْرٍ)[2]، وأقسم الله بأجزاء منه فقال تعالى:﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[3]، (﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾[4]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[5].

الوقـت فرصتـك للعمـل والجـد والاجتهـاد، ومـن أضـاع وقته فقد أضاع عمره، وسيأتي عليه يوم يصير حزيناً محسوراً، عندمـا يـرى النـاس يأتـون بأعمالهـم وإنجازاتهـم وهـو خـالي الوفـاض صفـر اليديـن، فإيـاك إيـاك أن تكـون ذلـك العاجـز مـع أن لديـك القـدرة عـلى العمـل والعطـاء والكسـب، قـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: (الْكَيِّسُ مَـنْ دَانَ نَفْسَـهُ، وَعَمِـلَ لِمَـا بَعْـدَ الْمَـوْتِ، وَالْعَاجِـزُ مَـنْ أَتبَـعَ نَفْسـه هَوَاهَـا، وَتَمَنَّـى عَـلَى الله)وفي رواية(وَتَمَنَّـى عَـلَى اللهِ الْأَمَـانِيَّ)[6].

(1) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(2) سورة العصر (2-1)
(4) سورة الضحى (2-1)
(3) سورة الفجر(1- 2)
(5) سورة التكوير (18-17).
(6) أخرجـه التِّرْمِـذِيُّ وحسّنه، عـن أبي يَعْلَى شَـدَّادِ بْـن أَوْسٍ - رضي الله عنـه - وقـال الترمـذي وغـيره من العلماء: معـنى (دان نفسه): أي حاسبها.

فمن ذهبت أوقاته ولم يستفد منها في أمور دينه ولا دنياه، فإنه عاجز قد أهدر حياته وعاش على الأماني الكاذبة.

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا رَاكِبَ ظَهَرَ عُمْرِهِ ... عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِالْيَوْمِ وَالشَّهْر

وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... بَعِيدًا عَنْ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى الْقَبْرِ

ويدرك الإنسان تفريطه بأيامه وسني عمره عندما يقف مع نفسه يسألها ويحاسبها عن ما أضاعت وما أنجزت، ومن لم يعرف أهمية الوقت، ستمضي أيام عمره مسرعة وهو في غفلة، ولن يستيقظ إلا عندما يحين موعد مغادرته الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (1)، وستكون حسرته بعد الممات أكبر لأنه يعجز عن تدارك ما فات ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ * كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (2)،فكل سني عمر الإنسان التي قضاها في متع الحياة سيتذكرها يوم القيامة وكأنها ساعة واحدة، لأنه حين يفتح خزائن الأيام والأشهر والسنين يجدها فارغة من الصالحات، بينما انقضت كل متع الدنيا ونسيت، فيندم حينها (ولات ساعة مندم!)(3).

(1) المؤمنون (99- 100)
(2) سورة الروم (55).
(3) في المعجم: ندموا ولات ساعة مندم، والأصل: (ليست الساعة ساعة مندم)

وفي الحديث: (ليسَ يتحسَّرُ أَهلُ الجنة على شيءٍ إلَّا على ساعَةٍ مرَّت بِهِم لم يذكُروا الله عزَّ وجلَّ فيها)[1].

وقال السابقون: إن الوقت من ذهب، والحق أنه أغلى من الذهب، لأن ما تفقده من الذهب يمكن أن تجمع أضعافه، أما الوقت الذي ينقضي فلا تقدر على استعادته مرة أخرى، وهو منحة ربانية سوف يسألك الله عنها عند الحساب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يسأَلَ عن عُمُرِهِ فيمَ أفناهُ؟ وعن علمِهِ فيمَ فعلَ فيهِ؟ وعن مالِهِ مِن أينَ اكتسبَهُ؟ وفيمَ أنفقَهُ؟ وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ؟)[2].

قال الوزير الصالح يحيى بن هُبَيرة:[3]

والوقتُ أنفَسُ ماعُنيتَ بحفظه وأراهُ أسهلَ ما عليك يضيعُ

وفي الأثر:(إن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الممات).

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.
(2) رواه المنذري في الترغيب والترهيب عن أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد.
(3) يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين، عالم بالفقه والأدب، من كبار الوزراء في الدولة العباسية.

لقد جعل الله الليل والنهار متعاقبين، وفي اختلافهما فرصة لمواصلة عمل الخير، ومن فاته عمل في النهار تداركه في الليل، ومن شُغل عن عمله في الليل أنجزه في النهار، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1]، وأوقات الصلاة تذكرنا بأهمية الوقت، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3].

ومن فضل الله وكرمه أنه لم يجعل الوقت نهاراً دائماً، ولا ليلاً سرمداً، ليتمكن الإنسان من العمل في أوقات ويأخذ راحته في أوقات أخرى، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]، ويشعر بقيمة هذا الاختلاف الذين يعيشون في القطب الشمالي من الكرة الأرضية حيث تمضي عليهم أشهر تكون كل ساعاتهم نهاراً، بينما يقضون شهوراً أخرى لا يرون فيها الشمس.

أوقات مميزة

عندما تجد نفسك منشرحاً ومقبلاً على عمل أو ذكر أو قراءة

(1) سورة الفرقان (62)
(2) سورة النساء (103)
(3) سورة الإسراء (78)
(4) سورة القصص (73).

أو كتابة أو فكر أو تأمُل فاغتنم الفرصة واجتهد أن تنجز أكبر قدر ممكن من العمل الذي بدأت فيه، قبل أن تصرفك شواغل الحياة إلى أعمال غير مهمة أو هامشية..

وللذكر والعبادة والطاعات أوقات مميزة احرص عليها، لأن العمل فيها مضاعف الأجر، ومنها: وقت السحر، وساعة يوم الجمعة، وبعد ختم القرآن، وبين الأذان والإقامة، وبعد الصلوات المكتوبات، وعند نزول المطر، وعند التحام الجيش، وشهر رمضان، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة، ويوم عرفة.. وتلك أوقات إجابة الدعاء فاغتنمها ولا يفوتك أن تطرح مطالبك بين يدي مالك المُلك القادر على كل شيء.

إن صاحب العزيمة والهمة العالية يستفيد من أوقات عمره بالعمل الدؤوب، وإذا شعر بالإجهاد والتعب أخذ قسطاً من الراحة استعداداً لما ينتظره من عمل، حتى لا يضيع عمره من غير إنتاج ولا إنجاز قال الأخطل:[3]

وَالناسُ هَمُّهُمُ الحَياةُ وَما أَرى طولَ الحَياةِ يَزيدُ غَيرَ خَبالِ

وَإِذا اِفتَقَرتَ إِلى الذَخائِرِ لَم تَجِد ذُخراً يَكونُ كَصالِحِ الأَعمالِ

وللأوقات بركة فتحيّنوا لها الفرص

طول العمر هو بركة الوقت، حيث ينتج المرء في وقت قصير الشيء الكثير، وعلى سبيل المثال بعض العلماء صنّفوا من الكتب ما عجز عن قراءته من جاء بعدهم، ونتساءل متى كتبوا؟ ومتى استخلصوا الأحكام والقواعد؟ ومتى راجعوا وعدّلوا كتبهم؟ وكيف استحضروا المراجع وكتب السابقين.. لا نجد تفسيراً لذلك إلا التوفيق وبركة الوقت!

وتظهر بركة الوقت عندما تنجز في ساعة ما لم تتمكن من إنجازه في يوم، وقد تنتج في يوم ما عجزت عنه في أسبوع، وقد تقرأ كتاباً في ليلة، ولا تنتهي من قراءة كتاب آخر إلا في شهر لانشغال فكرك وتشتت اهتماماتك، وربما نصرتَ الإسلام في موقف لدقائق محدودة تنال به أجر العمل الكثير، فتستحق أن يرفع الله قدرك عنده وبين الناس.

صلة الأرحام والابتعاد عن المعاصي، والتقرب إلى الله، والإحسان إلى الفقراء والأيتام تجعل وقتك مباركاً وحياتك حافلة بالإنجاز ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه ، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه)[1].

(1) حديث رواه أنس بن مالك وأبو هريرة (صحيح الجامع، قال الألباني:صحيح)

الانسجام مع سنن الكون

جعل الله النهار للعمل والحركة والنشاط، وجعل الليل للراحة والسكينة والهدوء، فقال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1]، ومن يتعود على سهر الليل والنوم في النهار يخالف سنن الكون فلا يحقق إنجازاً، ولا يشعر بالسكون والهدوء، والوضع الطبيعي أن نجعل النهار للعمل والكدّ، ونبقي الليل للراحة والنوم، وإذا اضطر المرء للسهر لحاجة أو عمل أو مناسبة أو سفر، فليكن ذلك استثناءً، ولا يحسن أن يصير عادة.

والنوم المبكر يساعدك على الاستيقاظ المبكر، فتدرك ساعات البركة والخير والرزق واستجابة الدعاء، فعن صَخْر بن وَدَاعَة الغامدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِها) وكان إذا بعَث سَرِيَّةً أو جيشًا بعَثَهم من أوَّل النهار، وكان صَخْر تاجرًا، وكان يبعث تِجارته أوَّل النهار، فأَثْرَى وكثُر مالُه[2].

الذين يصلّون الفجر في وقته المفضل يدركون الساعات المباركات، وتنتعش نفوسهم بنسمات الصبح العليل، ويستمتعون

(1) سورة النبأ (10 – 12).
(2) حديث صحيح، (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد).

بـجمال الشروق الجميـل، يـؤدون أورادهـم وأذكارهـم الصباحيـة، ويقـرؤون مـا يفيدهـم، ولايـأتي الضحى إلا وقـد أنجـزوا الكثيـر مـن الأعمال، وتلـك مغانـم مبسـوطة وميسـورة لـكل النـاس، ولا يُحـرم منهـا إلا مـن قصرت هممهـم، أو مـن يقضـون لياليهـم في سـهر ولهـو ولعـب، فإيـاك أن تكـون مثلهـم نؤوم الضحى، كسـولاً خامـل الذكر، واجعـل لنفسـك مشروعـاً متمـيزاً تحققـه في الحيـاة، وشـمّر لتسـابق على المراتـب العليـا التـي تليـق بطموحـك، فعمـرك فرصـة ثمينـة فلا تضيّعهـا، يقـول الإمـام علي رضي الله عنـه: (اغْتَنِمُـوا الفُـرَص فَإِنَّهَـا تمـرّ مـرّ السَّـحَاب ، وَلَا تَطْلُبُـوا أثـراً بَعْـد عـين).

والذيـن لا يشـغلون أنفسـهم بالحـق تشـغلهم بالباطـل، والذيـن لا يداومـون على الطاعـات تسـتدرجهم المعـاصي، وليـس مطلوبـاً منـك أن تكثـر مـن العبـادات والأذكار والأعمال التـي تـأتي على كل أوقاتـك، فالاسـتمرار على العمـل الصالـح القليـل خير مـن الكـثير الـذي يدعـو إلى الملـل والسـآمة، قـال صلّى الله عليـه وآلـه وسـلم:(يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ خُـذُوا مِـنْ الْأَعْمَالِ مَـا تُطِيقُـونَ ، فَـإِنَّ اللهَّ تَعَـالَى لَا يَمـلُّ حَتَّـى تَملـوا ، وَإِنْ أَحَـبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله مَـا دَامَ وَإِن قـلّ)[1].

الاستفادة مـن الوقـت لا يعنـي أن تحمّـل نفسـك فـوق طاقتها، حتى

(1) أخرجه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

لا تصاب بالفتور والملل، فالوسطية مطلوبة في كل حياتنا، وقد كرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحث على الاعتدال في الأعمال، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: مَن هذِه؟ قَالَتْ: فُلَانَةُ، تَذْكُرُ مِن صَلَاتِهَا[1]، قَالَ: مَهْ، علَيْكُم بما تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا وكانَ أحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ مَادَامَ عليه صَاحِبُهُ).

إن الاستمرار في أعمال البر ولو كانت قليلة ينسجم مع فطرة الإنسان ويناسب قدراته واستطاعته، وذلك أفضل من عمل كثير منقطع وغير دائم، (سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الأعْمَالِ أحَبُّ إلى الله ؟ قَالَ: أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ، وقَالَ: اكْلَفُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ) أَيْ تَحَمَّلُوا مِنْ الْعَمَل مَا تُطِيقُونَهُ عَلَى الدَّوَام، ولا تشقّوا على أنفسكم بما لا تقدرون على الاستمرار فيه[2].

كيف نستفيد من الوقت؟

لن تستفيد من أوقاتك إذا كانت حياتك عشوائية وغير مرتبة، والبداية الصحيحة إنما تكون في تنظيم الوقت، وعندما تحرص على ترتيب أوقاتك، ستنجز أعمالك وواجباتك، وذلك يجعلك تشعر

(1) ذكرت كثرة عباداتها.
(2) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

بالسعادة والطمأنينة والرضا، ويدفعك إلى المزيد من الإنتاج.

تنظيم و ترتيب الوقت يساعدك على القيام بكل واجباتك الخاصة والعامة؛ وأداء حقوق الله أولاً، ثم القيام بحقوق أسرتك ومجتمعك، وكذلك واجباتك العملية الدراسية أو المهنية أو الاجتماعية.

اليوم أربع وعشرون ساعة، وعليك أن تعمل برنامجاً لهذه الساعات: متى تقوم بواجباتك الشخصية، متى تقرأ، متى تزور أهلك وأرحامك وأصدقاءك، متى تأخذ قسطاً من الراحة، متى تنام، متى تستيقظ، متى تذهب لعملك ووظيفتك، ومتى تؤدي الحقوق الأخرى..؟

ضع لك برنامجاً للأسبوع، وآخر للشهر، وبرنامجاً لكل عام، وهكذا حتى تنجز جميع واجباتك وأعمالك، ولكي تدرك أهمية تنظيم وقتك ضعْ ورقة أمامك واكتب عليها لمدة يوم أو أكثر ماذا عملت الساعة الثامنة صباحاً، ثم الساعة التاسعة، وكلما انقضت ساعة اكتب ماذا أنجزت، وفي نهاية اليوم أعد قراءة الأعمال التي عملتها وستلحظ كم من الأوقات ذهبت عليك من دون فائدة، فكثيراً ما نضيع أوقاتاً طويلة في أعمال غير مهمة، أو في كلام لا

فائدة منه، أو في غيبة الأشخاص، أو في التعرض لقضايا لا تخصنا، وإنها لخسارة كبيرة أن نهدر أوقاتنا في شيء لا يفيدنا في دنيانا ولا في آخرتنا، ولأن وقت المسلم ثمين جداً، فيجب أن يكون في خدمة نفسه، أودينه، أو أهله، أو الناس، ولا يشغل نفسه بسفاسف الأمور ولا بما لا يعنيه.

وإذا كان الوقت مهماً على مستوى الأفراد والجماعات، فإن قيمته أكبر على مستوى الشعوب والدول، فالشعوب والدول التي تخطط لحياتها وتنظم أوقاتها تنجز من الأعمال الكبيرة والمشروعات العملاقة ما يشبه المعجزات، بينما يقعد العاجزون يعضُّون أصابع الندم لأن وقتهم ذهب في أعمال غير مهمة، فلا هُمْ عمروا دنياهم، ولا قدموا لآخرتهم، وغالباً ما ينفقون أوقاتهم في تبرير عجزهم وتقصيرهم وإهمالهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأمقت الرجل أراه فارغاً ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخرة.

وعندما ننظر إلى أحوال المسلمين اليوم؛ سنلحظ في الغالب أن أوقاتهم غير مرتبة، والقليل من يوفون بالتزاماتهم أفراداً وجماعات ودولاً، فلا احترام عندهم للوقت ولا انضباط في المواعيد، ولا إنجاز للأعمال عند الكثير منهم، ومكاشفة النفس بهذا التقصير لا يعني

الرضا والتعايش معه، بل لا بد من تغيير تلك العادات السيئة، والعزم على أن نهتم بتنظيم الأوقات والاستفادة منها، والوفاء بالمواعيد واحترامها.

اترك مجالسة الكسالى والمهملين والتائهين، واحرص أن تكون مع المجتهدين وأصحاب العزائم لتقبُس من نشاطهم وجدّيتهم، واقرأ سير أصحاب الهمم العالية لتقتدي بهم وتعمل على محاكاتهم.

احذر من قتل الأوقات، فالذين يعبثون بأوقاتهم، ويهيمون على وجوههم بحثاً عن أماكن ومواقع ورفاق يقضون معهم الساعات في لغو ولهو ولعب، هؤلاء لا يقتلون الوقت فقط، وإنما يقتلون أنفسهم، ويخسرون حياتهم، ويبددون أعمارهم، فيتجاوزهم الزمن، ويفوتهم قطار العمل والعطاء والإنجاز، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (مَا نَدِمْت عَلَى شَيْءٍ نَدَمِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسِه ، نَقْصَ فِيهِ أَجَلِي وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي).

ومن شعر الحكم :

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيامِ نَقْطَعهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، لأن الوقت يمضي ولا ينتظر، فبادر بالعمل وسابق للخيرات، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ)(1).

انطلق لعمارة الأرض كما أمرك الله: قال تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(2)، فقد بسط الله لك الأرض وذلَّلها، ليسهل عليك البحث عن رزقك فيها قال جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(3).

وخالط الناس لتعطيهم وتأخذ منهم، وتسعى في خدمتهم، ففي الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله: أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال : أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا،

(1) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وقال الألباني صحيح.
(2) سورة هود(61) .
(3) سورة الملك (15).

أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهراً..)[1].

فلا تقبل على نفسك أن تعيش على هامش الحياة، أو تكون عالة على غيرك ، روي عن عمر الفاروق رضي الله عنه قوله: إني لأكره أن أرى الرجل سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

تغلّب على العوائق التي تمنع استفادتك من الوقت :

زيادة الأكل والشرب يؤدي إلى الخمول وكثرة النوم، والتعود على الدعة وحب الراحة يؤدي إلى الكسل والفتور، وتأخير الواجبات يجعل الأعمال تتراكم فتعجز عن إنجاز ما أخرته من مهام، وطول الأمل يؤدي إلى التباطؤ عن الطاعة وتأجيل التوبة والانغماس في الدنيا ونسيان الآخرة، قال الحسن البصري :(مَا أَطَالَ عَبْدٌ الْأَمَلَ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلَ)، والمداومة على الجلوس مع ذوي الأهواء والغارقين في متع الحياة يجعل أوقاتك تضيع من دون فائدة، ويتعلق قلبك بما لا تصل إليه من لعاعة الدنيا الزائل، قال أحد السلف:(احْذَرُوا مِنَ صِنْفَيْنِ : صَاحِبِ هَوًى قَدْ فَتَنَهُ هَوَاه ، وَصَاحِب دُنْيَا قَد أَعْمَتْه دُنْيَاه).

(1) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن ابن عمر رضي الله عنهما .

أوقات للترويح عن النفس :

ومع أهمية الاستفادة من الأوقات، فلابد من الترويح عن النفس، وتخصيص بعض أوقات للراحة والاستجمام والتجوال، وممارسة بعض الأنشطة الرياضية أو الترفيهية التي تنعش الروح وتبعث البهجة وتطرد الهموم، قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فابتغوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ)، وقال: (روِّحوا الْقُلُوب سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكره عَمِي)، أما حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فكان إذا كَلَّ (وتعب) قال: (هاتوا ديوان الشعراء).

فالتنويع والتجديد في برامج اليوم والليلة ينعش النفوس، ويجدد النشاط، ويقدح الذاكرة، ويذهب الملل، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صحف إبراهيم قالَ:(كانَت أمثالًا كلُّها: أيُّها الملِكُ المسلَّطُ المبتَلَى المغرورُ ، فإنِّي لم أبعثْكَ لتجمَعَ الدُّنيا بعضَها إلى بعضٍ، ولكن بعثتُكَ لترُدَّ عنِّي دعوةَ المظلومِ، فإنِّي لا أردُّها ولَو كانَت مِن كافِرٍ. وكانَت فيها أمثالٌ: علَى العاقِلِ ما لَم يكُن مغلوبًا علَى عقلِهِ أن تكونَ له ساعاتٌ؛ ساعَةٌ يُناجي فيها ربَّهُ عزَّ وجلَّ، وساعةٌ يحاسِبُ فيها نفسَهُ،

وساعَةٌ يفكِّرُ فيها في صُنعِ اللهَّ عزَّ وجلَّ، وساعةٌ يخلو فيها بحاجتِهِ من المطعَمِ والمشرَبِ، وعلى العاقلِ أن لا يكون ظاعِنًا إلَّا لثلاثٍ؛ تزوُّدٍ لمعادٍ، أو مرمَّةٍ لمعاشٍ، أو لذَّةٍ في غيرِ محرَّمٍ، وعلى العاقِلِ أن يكونَ بصيرًا بزمانِهِ، مقبِلًا على شأنِهِ، حافِظًا للسانِهِ، ومن حسَبَ كلامَهُ من عمَلِهِ قلَّ كلامُهُ إلا فيما يعنيهِ)[1].

هذا الحديث يجعلني أدعو الذين يغتربون عن أوطانهم لأي سبب أو طارئ، بأن يكون هذا السفر والترحال مؤقتاً، وأن تكون إقامتهم في بلاد المهجر إما لطلب العلم أو البحث عن مصدر رزق، أو للعلاج أو السياحة، أو لظرف قاهر خارج عن الإرادة، فإذا انتهت أسباب سفرهم، وأنجزوا ما ذهبوا من أجله، عادوا إلى أوطانهم، ليستثمروا علمهم وخبراتهم وأموالهم في تطوير بلادهم، وحتى إذا كانت ظروف بلادهم صعبة وغير مواتية؛ فإن المسؤولية عليهم أكبر في العودة للمشاركة في بناء أوطانهم ونهضتها ورفعتها.

•~•~•~•~•

(1) من حديث طويل عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أخرجه الطبري في (تاريخه) (120/ 9)، وابن حبان (361)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (166/ 1) واللفظ له، والظاعن المسافر.

الفصل الثاني
مكملات الشخصية السوية

البعد عن مواطن الملامة

النظام والترتيب في حياتنا

النظافة في حياتنا

الذوق في حياتنا

الجمال في حياتنا

الإتقان في حياتنا

البعد عن مواطن الملامة

المؤمن كيّسٌ فطِنٌ، يبعد نفسه عن مواطن الملامة، لا يقدم على فعل أو سلوك يحتاج بعده للاعتذار وطلب المسامحة، ولا يمارس سلوكاً مشيناً يزري به فيضطر لتبرير سلوكه، يزن كلامه قبل أن يتحدث حتى لا يلزمه الاعتذار عن مقولته، فرب كلمة خرجت من لسانك فأوغرت بها الصدور، ولا تتمكن من تطبيب أثرها، وتطييب الخواطر إلا بعد مشقة وجهد كبير.

والعاقل الحصيف يحرص على القيام بواجباته، ويتجنب الإهمال أو التسويف، ولا يضع نفسه في محل الريبة والتهمة والشبهة، وينزّه نفسه عن ما يعيبها، ولا يضعها محل الحرج والنقد واللوم، ويتجنب فضول الكلام.

وسنذكر هنا بعض الأفعال ومظاهر السلوك غير السوي التي يجدر بالمؤمن أن لا يقع فيها، ليبقى الانطباع العام عنه حسناً، وتظل صورته ناصعة ومشرقة، فيحظى بالاحترام والتقدير حيثما حلّ، وفي أي وسط يكون فيه.

إياك وما يعتذر منه :

قال صلى الله عليه وآله وسلم:(عليكَ بالإياسِ مِمَّا في أيدي

النَّاسِ، وإيَّاكَ والطَّمَعَ فإنَّهُ الفقرُ الحاضرُ، وصلِّ صلاتَكَ وأنتَ مودِّعٌ، وإيَّاكَ وما يُعتَذرُ منهُ)[1].

إن تجنب الوقوع في الخطأ قولاً أو فعلاً أولى وأفضل بكثير من تقديم الاعتذار، سواء قُبِل أم لم يُقبَل، فعندما تُجرح القلوب ليس من السهل مداواتها، وهنا يجب التفكير ملياً وإعمال العقل قبل الإقدام على ما يثير أو يؤلم أو يجرح الآخرين من خلال سلوك أو تعليق أو تصريح.

وجاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا رسولَ الله، علِّمْني وأوجِزْ، قال:(إذا قُمْتَ في صلاتِكَ، فصَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ، ولا تَكَلَّمْ بكلامٍ تعتذِرُ منه، وأجمِعِ اليَأْسَ عمَّا في أيدي النَّاسِ)[2]، والحديث يحمل توجيهات عظيمة؛ منها الأمر بأن لا يصدر من المتكلم لفظ سيء يغضب الله، أو يسيء للخلق ويستوجب الاعتذار.

روي عن علي رضي الله عنه: (إيّاكَ وما تَعتَذِرُ مِنهُ؛ فإنَّهُ لا يُعتَذَرُ مِن خَيرٍ)، وعن الحسينُ بن علي رضي الله عنهما: (إيّاكَ وما تَعتَذِرُ مِنهُ؛ فإنَّ المُؤمِنَ لا يُسيءُ ولا يَعتَذِرُ، والمُنافِقَ كُلَّ يَومٍ

(1) رواه الحاكم والبيهقي في الزهد، وقال الحاكم صحيح الإسناد، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(2) أخرجه ابن ماجه في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وقال الألباني حديث حسن.

يُسيءُ ويَعتَذِرُ)، وروي عن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه: (انْظُر إِلَى مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَاجْتَنِبْه)، وليس المقصود هنا النهي عن مطلق الاعتذار عن الخطأ، وإنما أن تتجنب أن تقصر في واجب أو تعمل ما يضطرك للاعتذار الذي كنت في غنىً عنه من الأساس.

وهذه بعض الحالات لسلوك وممارسات خاطئة يعتاد عليها الناس لكنها تترك ندوباً في القلوب، وتجعل أصحابها في محل الملامة، وتضطرهم لتقديم الاعتذار، بينما كان بالإمكان تجنب الوقوع في الخطأ ابتداءً.

عندما تتأخر عن زيارة المريض، ثم تقابله وقد شفي من مرضه فلا تجد غير التبرير وتقديم الاعتذار تقول: المسامحة منك كنت عازماً على زيارتك لكني انشغلت أو نسيت، وهو اعتذار فاتر كانت الزيارة أولى منه.

التقصير في صلة الرحم، فإذا التقيتهم فلن تجد غير كلمة الاعتذار: سامحيني يا أختي.. يا خالتي.. يا عمتي.. يا ابن عمي فقد مرت مدة طويلة منذ زرتك! وكان الأفضل والأولى بك

القيام بالزيارة، أو الاتصال إذا كنت بعيداً، أو إرسال هدية، وفي الصلة تعميق للمحبة، وتوثيق لوشائج القربى، مع ما تناله من الأجر والثواب.

الكسل عن حضور حفل زفاف، أو مناسبة عزاء، ثم تخجل بعدها بأي وجه تقابل أصحاب المناسبة، ولن تجد غير كلمات الاعتذار التي لن يكون لها مساغاً في نفوس من تعتذر لهم، فضلاً عن ما خسرته من لقاء الأحباب والأصدقاء، ثم ما فاتك من الأثر الطيب في نفوس أصحاب المناسبة، وتلك مناسبات خاصة لا تتكرر إلا نادراً فلماذا تتأخر عن حضورها!؟

التعود على التأخر عن الدوام أو المواعيد، وفي الغالب يقابل المتأخر باللوم والتأنيب، فيضطر أن يقدم عذراً في كل مرة: يقول سهرتُ واستيقظتُ متأخراً، أو كانت زحمة المواصلات شديدة، أو نسيت الموعد ولم أتذكره.. وليس أجمل من الالتزام بالمواعيد، والانضباط في أداء الأعمال.

عندما يطلب منك جارك أو صديقك خدمة أنت قادر عليها، لكن نفسك الأمارة بالسوء تدفعك للاعتذار كسلاً، أو لانشغالك

بعمل أقل أهمية، وتنسى أن خير الناس أنفعهم للناس، وتدور الأيام فإذا بك تريد ممن اعتذرت لهم أن يقفوا معك، وحينها تلوم نفسك على تقصيرك معهم عندما كانوا يحتاجون معاونتك.

حالات كثيرة ومواقف متعددة تفرض عليك أن تجعل نصب عينيك النصيحة الغالية: (إياك وما يُعتذر منه).

إياك والتسويف

التسويف تأجيل للأعمال والواجبات، وتأخير عن أداء الحقوق في وقتها، وعدم المسارعة للإنجاز اعتماداً على أماني كاذبة، أو بسبب الكسل والخمول، وحب الدعة والراحة، وهو دليل على ضعف الإرادة، وتدني الهِمّة، وعدم الشعور بالمسؤولية، والتعلق بالأمل الخادع.

والتسويف يؤدي إلى تراكم الأعمال وإهمال الواجبات والتقصير في الحقوق، والأولى أن نأخذ بالعزيمة، فنبادر لإنجاز المهام الخاصة أو العامة أولاً بأول، وهذه بعض أمثلة لحالات التسويف التي تجعل أصحابها في موقع الملامة:

التأخر عن خدمة والديك، وقد لا يكونا في حاجة إليك،

لكنهما يسعدان بطاعة الأولاد، ويفرحان بالقليل واليسير من العطاء من يديك.. تقول في قادم الأيام سوف أقوم بالواجب، لكنك قد تنشغل أو تنتقل إلى بلد آخر، وقد يقضي الله أمره ويدركهما الموت ولم تهنأ بخدمتهما، فإذا لم تبادر سيأتي اليوم الذي تعضّ أصابع الندم ولكن بعد فوات الأوان.

إذا أخطأت في حق شخص أو أسرة أو جماعة وتحدثك نفسك بإصلاح خطئك والذهاب للاعتذار؛ لكنك تسوِّف وتؤجل، وتمر الأيام والأشهر وربما السنوات ولم تصلح خطأك ولم تعتذر لمن أسأت إليه، فتزداد القطيعة بينك وبينهم، وتتراكم الأوجاع، وكان الطريق السريع لمداواة الجرح أن تبادر بطلب العفو ولا تتأخر عن إصلاح ما أفسد العلاقة مع إخوانك وأصدقائك، وقد يفرق الموت بينك وبين من كان يجب أن تطلب الصفح منهم فتخسر فضيلة تطبيب الجراح ورأب الصدع والخلوص من الذنب.

التقصير في تربية وتهذيب الأبناء بحجة أنهم مازالوا صغاراً فلنتركهم يستمتعون بطفولتهم، وعندما يكبرون سوف يتم توجيههم وإرشادهم! لكن العادات السيئة التي يمارسونها، أو

يتعلمونها من أقرانهم ستنمو معهم، فيستمرؤون الأخطاء، وربما غلب عليهم العناد فينشؤون على سلوك غير سوي، وصفات سيئة، فلا يستجيبون لتوجيهات والديهم، الذين يندمون لأنهم قصروا في تربيتهم وتعديل سلوكهم منذ الصغر.

إذا كان لديك نقص في علم من العلوم أو مهارة لا تستغني عنها، وتقول لا بد أن استكمل هذا النقص بالانتظام في دورة أو برنامج، أو ملازمة شيخ أو أستاذ لديه علم في الفن أو المهارة أو المجال الذي تحتاجه لتتعلم منه وتسد النقص الذي كان لديك، لكنك تؤجل وتسوّف وينقضي الزمن ولم تتعلم ولم تستكمل ما كان لديك من نقص، وستدرك بعد فترة كم هو معيب في حقك أن يكون لديك تخلف في أساسيات تلزمك، وقد روي عن عمر رضي الله عنه قوله: (تفقّهوا قبل أن تُسوّدوا)، فمن يصبح ذا سلطة أو وجاهة يجد حرجاً أن يجلس في موقع المتعلم، ويبقى على جهله وتقصيره، وكم عرفنا من ذوي المناصب العالية الذين لا يحسنون التعبير والإملاء، ولا يفرقون بين الفاعل والمفعول، ولا الجار والمجرور، وتصبح توجيهاتهم المكتوبة محل تندر الناس.

والأمر ينطبق على بعض العلماء والقضاة الذين يتصدرون لتوجيه الناس وإرشادهم أو الفصل بينهم؛ غير أنهم لم يتقنوا التلاوة وتجويد القرآن، أو لديهم قصور معيب في النحو والصرف، فيفقدون التقدير والاحترام -لاسيما عند من يفهم تلك الهِنات - وإذا أرادوا استدراك ذلك النقص وقد صاروا قادة في المجتمع، فيلزمهم العزيمة والتواضع والصبر على التتلمذ، وقد لا يجدون الوقت للتعلم، بينما كانت لديهم فسحة من الزمن قبل ذلك لو سلِموا من التسويف والتأجيل.

بعض الطلاب يجدون صعوبة في استيعاب بعض الدروس، فيؤجلون مذاكرتها، والسؤال عن ما انغلق عليهم فهمه منها، أو الجلوس مع من يساعدهم في توضيحها وشرحها، فينتظرون إلى آخر العام الدراسي أملاً في أن يتفرغوا لها، ولكن الوقت يضيق عليهم، ولا يجدون من يساعدهم، فيزداد لديهم القلق، وربما أخفقوا في اجتياز الاختبار، وكان التسويف السبب الذي أوصلهم لهذا الفشل.

وهكذا نلحظ أن التسويف وتأجيل إنجاز الواجبات يؤدي

إلى الندم والحسرة، فإياك والتسويف فإنه عجز وتخلف لا يليق بك، ويجب أن لا يكون من صفاتك.

ابتعد عن الشبهات ومواطن الريبة

المؤمن التقي الورع يبعد نفسه عن الاقتراب من الشبهات، ليصون نفسه عن الوقوع في الحرام، فيترك ما لا بأس فيه خوفاً مما فيه بأس، ينزّه نفسه عن أخذ ما فيه أدنى شبهة، فلا يأكل إلا حلالاً، وإذا دخل في تجارة أو معاملة مالية لا يكون هدفه الربح الوفير بأي وسيلة غير مشروعة، فلا يغشّ ولا يخدع ولا يكذب، بل يكتفي بالرزق الحلال ولو كان قليلاً، ليضع الله له البركة، ويصرف عنه الكوارث والمصائب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، والْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى الله محَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ الْقَلْبُ)[1].

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

المؤمن تنفر نفسه من الحرام، ولا يطمئن لما فيه شبهة، ومقياسه في قلبه، فعندما يجد نفسه غير مطمئنة لقول أو فعل، ويكره أن يطّلع الناس على ذلك، فإنه يختار التّرْك والابتعاد حتى لا يكون محل الملامة عند الله وعند الناس، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ)(1).

وعندما ترتاب في أمر يتراوح بين الحلال والحرام، أو الحق والباطل، أو الصلاح والفساد، انظر إلى ما تطمئن إليه نفسك، واجعل خيارك الحلال الواضح، والحق البيّن، والصلاح الذي لا فساد فيه، فعلى سبيل المثال قد يأتيك شخص يطلب أن تشاركه في مشروع استثماري، وأنت مرتاب أن ماله ربما جمعه من حرام، فخير لك أن تعتذر منه لتريح نفسك من الوساوس والظنون، وترى السلعة ويساورك الشك أن فيها عيب، أو أنها منتهية الصلاحية، اتركها إلى غيرها وإن بدا لك أنها أرخص أو أجمل.

اجعل نصب عينيك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ

(1) حديث أخرجه مسلم وأحمد عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني.

رِيبَةٌ)[1]، وهذا الحديث من جوامع الكلم، فما فيه شبهة وتخشى أن يكون حرامًا دعه، واجعل نفسك في الجانب الذي لا شبهة فيه ولا ريبة، سواء كان مأكلاً أو مشرباً أو لباساً أو كلاماً، أو أمراً من أمور العبادات أو المعاملات، وقد جعل الإمام النووي رحمه الله هذا الحديث في ضمن الأربعين حديثاً التي شملت أهم قواعد الإسلام التي لا يستغني أي مسلم عن معرفتها.

قال الإمام المناوي رحمه الله:[2] (دع ما يريبُك) أي اترك ما تشك في كونه حسناً أو قبيحا، أو حلالاً أو حراما، (إلى ما لا يريبك) أي واعدل إلى ما لا شك فيه، يعني ما تيقنت حُسنَه وحِلَّه، (فإن الصدق طمأنينة) أي: يطمئن إليه القلب ويسكن، (وإن الكذب ريبة) أي: يقلق القلب ويضطرب.

والورع لا بد أن يكون شاملاً في الأموال والأعراض والدماء والأقوال والأفعال، فليس من الورع التحرز في الأموال مع التساهل في الدماء، وكذا ليس ورعاً من يحرص على صيانة الأعراض لكنه يطلق يده في المال العام ولا يبالي أن يأخذ منه ما استطاع من دون وجه حق.

(1) حديث أخرجه الترمذي وأحمد وابن حبان عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه الألباني.
(2) الإمام محمد بن عبد الرؤوف بن علي زين العابدين الحدادي المناوي المصري المتوفى في القاهرة عام 1031 هجرية، من كبار العلماء، وله مؤلفات كثيرة من أشهرها (فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير)

ابعد نفسك عن مواطن التُّهم

المسلم الحاذق العاقل يبعد نفسه عن مواطن التهمة لأنه يراقب الله أولاً، ثم ليحافظ على سمعته الحسنة، ويصون نفسه عن الوقوع في الحرام، ولا يعرض نفسه لاتهام الناس له في سلوكه أو معاملاته، يبتعد عن الاحتيال، أو ما يؤخذ بوجه الحياء، أو غض الطرف عن أفعال أهل الباطل، ولا يجلس مع أهل اللهو والخنا حتى لا يُتهم بأنه منهم، وإن كان لا يأتي ما يأتون من المنكرات، فالصورة التي ستنطبع عنه أنه من ذلك الصنف الذي يزدريهم الناس لسوء أفعالهم.

عندما رأى صحابيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنح الليل مع زوجته صفية رضي الله عنها أسرعا خجلاً منه، فخشي أن يلقي الشيطان في روعهما أن الرسول مع امرأة أجنبية فيهلكان بسوء ظنهما، فدعاهما وبيّن لهما أنها زوجته صفية ليزيل التهمة التي ربما يقعان فيها؛ تقول أم المؤمنين صفية رضي الله عنها: (كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُعتكفًا فأتيتُه أزورُه ليلًا فحدَّثتُه ثمَّ قمتُ فانقلبتُ فقامَ معي ليقلبَني - وَكانَ مَسكنُها في دارِ أُسامةَ بنِ زيدٍ - فمرَّ رجلانِ منَ الأنصارِ فلمَّا رَأيا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أسرَعا فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ

وسلَّمَ علَى رِسلِكما إنَّها صفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ، قالا: سبحانَ اللهَّ يا رسولَ الله! (يؤكدان أنهما لا يمكن أن يفكرا باتهام رسول الله بسوء] قالَ: إنَّ الشَّيطانَ يجري منَ الإنسانِ مجرَى الدَّمِ فخشيتُ أن يَقذفَ في قلوبِكما شيئًا، أو قالَ شرًّا) (1).

بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما أكرمك وما أرحمك بأمتك، تخشى على أصحابك الهلاك، وتعلمنا أن لا نبقي للتهمة موطناً في النفوس، فبادرت بتبديدها فوراً، وهذا ما يحسن أن يتنبّه له المسلم الفطِن، فلا يضع نفسه في موقف تهمة.

وعندما أراد ملك مصر أن يقرب يوسف عليه السلام ويصطفيه بعد أن فسر له رؤياه، أمر بالإتيان به من السجن، لكن يوسف أبى الخروج ولم يستعجل، وطلب أولاً تبرئة ساحته من التهمة والافتراء الذي بسببه أدخل السجن بدعوى التحرش بامرأة العزيز ونساء عِلية القوم، فاستدعى الملك النسوة وأقررن ببراءة يوسف، واعترفت امرأة العزيز بتهمتها الكاذبة ليوسف، ولما اتضحت الحقيقة وعرف العامة والخاصة براءة يوسف، وافق على الخروج من السجن، وتولّي شؤون الدولة وصفحته بيضاء ناصعة، وهي قصة تدعو كل عاقل

(1) أخرجه أبو داود عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، وصححه الألباني.

أن لا يهمل الرد على التهم التي تقال عنه، ولا يقبل أن تلوكه ألسنة الناس بالباطل طالما أن بإمكانه البيان والتوضيح وتبرئة نفسه مما ليس فيه، وما أروعها من عبرة وعظة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلأجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾(1).

اترك ما لا يعنيك

من الأمراض الاجتماعية، والعادات السيئة أن يحشر المرء

(1) يوسف (٤٩- ٥٧).

نفسه في شؤون الآخرين، ينتقد أعمالهم، ويفسر تصرفاتهم، ويبدي رأيه في شؤونهم الخاصة، ويعترض على اختياراتهم في الملابس أو المطاعم أو الأثاث أو الدراسة أو العمل أو السفر أو غيره، أو يسأل عن حياتهم الخاصة، أو عن مصادر رزقهم، وأين يذهبون؟ وكيف يقضون أوقاتهم؟ وقد يسأل عن بعض أسرارهم كسبب عيوبهم الخَلْقية - إذا كانت فيهم عيوب - ومن يمارس هذا السلوك يعرض نفسه للعتاب واللوم أو التوبيخ، أو الكلام الجارح، وربما ردة فعل قاسية، ويكفيه أن يقال له: هذا ليس من شأنك، ولماذا تتدخل فيما لا يعنيك!؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيهِ)[1]، فمن كمال الإيمان أن يجتنب المسلم ما لا يخصه، وما لا يهمه، وما لا شأن له به، ولا تتعلق به مصلحته، ويشتغل بما يعنيه فحسب، أما الذي لا يعنيه، فلا يليق به الدخول فيه ولا السؤال عنه، وحسبه الاهتمام بخاصة شؤونه في ماله وأهله وأولاده ومهنته، ويترك ما وراء ذلك، فإنه أسلم لدينه وخُلُقه وسمعته، وراحة لباله ونفسه وقلبه، وهو دليل على حُسن إسلامه وكمال إيمانه.

(1) أخرجه أبو داود عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، وصححه الألباني.

وإن مما عمت به البلوى في عصرنا ما شغل كثير من الناس أنفسهم به في وسائل التواصل الاجتماعي، يكتبون الصغيرة والكبيرة عن حياتهم، ويبدون آراءهم في مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويتحدثون عما يعلمون وما لا يعلمون، ثم يأتي آخرون فيعقّبون ويعلّقون على ما كتبه أولئك، وربما طلب بعضهم توضيحاً أو نفياً أو رأياً حول قضية ما، وصار المنشغلون في هذا الباب في شتات ذهني، وهمٍّ وغمٍّ، وسهر وتعب حول أمور لا يقدمون فيها ولا يؤخرون، بل إنها تأخذ الكثير من أوقاتهم وتفكيرهم، وما كان أغناهم عن كل ذلك لو أنهم شغلوا أنفسهم بما يفيدهم وينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، بينما إذا صرفوا النظر عن تلك المتابعات فلن ينقص من حياتهم شيء ذو أهمية، وسيسلمون من شر هذه الوسائل التي انقلب كثير منها إلى أدوات للتقاطع وليس التواصل بين الناس.

يمكن أن تكون وسائل التواصل الاجتماعي مفيدة في نقل المبادئ والقيم، ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل، أو وسيلة لتوثيق عرى الإخاء والألفة بين الناس، أو لذكر عِبَر التاريخ وعظاته،

ومقارنته بالواقع تحفيزاً وتأسياً، أو تحذيراً من تكرار الأخطاء، وهي مفيدة أيضاً حين ينشغل بها أصحاب الاختصاص، أو من له علاقة بموضوعات مهمة للأسرة والمجتمع والدولة، وكذا قضايا العالم من حولنا، على أن يلتزم أصحاب تلك المشاركات بالابتعاد عن الكذب والافتراء والكيد والتهم الباطلة، والتخرصات غير الواقعية، وتهويل الأمور اليسيرة، أو التهوين من الجرائم والأخطاء الشائعة، وعدم الدخول في أعراض الآخرين وحياتهم الخاصة.

وفي كل الأحوال لا يحسن أن تأخذ هذه الوسائل جُلَّ الأوقات، ويجب أن لا تشغل عن واجبات الدين والحياة، وأن لا تكون إقحاماً للمرء في قضايا لا تهمه ولا تفيده، أو تَطفُّلاً على حياة وخصوصية غَيرِهِ من الناس، ومن ذلك البحثُ عن مسائِلَ افتراضية لم تحدث، أو مما لا يُتصوَّرُ وقوعها، وما لا يَعنيه من قضايا الخَلْق والغيب والآخرة والمتشابه من الآيات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، وتظل القاعدة الذهبية نصب أعيننا (من حسنِ إسلامِ المَرءِ تركُه ما لا يعنيه).

احفظ لسانك وتجنّب فضول الكلام

اللسان نعمة من نعم الله، لها فوائد كثيرة، بها نتذوق المأكولات والمشروبات، ونقلب الطعام قبل مضغه، وهي وسيلة النطق، نتحدث بها، ونبيّن ما نريد من المعاني، ونرد على من يقول فينا ما نكره، وهي وسيلة القراءة والذكر والحديث والخطابة والبيان، فهي نعمة عظيمة نعجز عن أداء شكرها لله المنعم المتفضل جل جلاله.

واللسان عضو مهم وخطير، يرفع شأنك ويعلي مكانتك إذا أحسنت الاستفادة منه، ولكنه قد يورد صاحبه المهالك في الدنيا والآخرة إذا أساء استخدامه، والمرء مخبوء تحت لسانه، يظل مُهابا حتى يتكلم، فإن قال خيراً حاز التقدير والاحترام، وإن قال شراً أساء لنفسه، واحتقره الناس، وتحمّل تبعات كلامه، وفي الأمثال (لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك)، وقد أمر الله عباده أن لا يخرج من ألسنتهم إلا الخير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا﴾[2]، وفي

(1) سورة آل عمران آية (7).
(2) سورة الأحزاب آية (70).

الحديث الشريف: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ...)[1].

إن المؤمن يعوّد لسانه على قول الكلام الطيب، وإلا فإن السكوت أولى من الكلام الذي ربما يرضي المستمعين لكنه يغضب الله، ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت فسلِم، وفي (الترمذي) من حديث ابن عمر مرفوعًا: (لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله يقسِّي الْقَلْب ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ الله الْقَلْبُ الْقَاسِي).

ومن الاستخدام السيء للسان الاستئثار بالحديث في الجلسات والاجتماعات والمنتديات، أو التعليق والتعقيب على كل متكلم، أو تصدر الإجابة على أسئلة موجهة للآخرين، أو عدم السماح للمتحدث لبيان فكرته، أو التسرع بالقول: أنا أعرف ما الذي تريد قوله، وهي فجاجة تفقد من يمارسها احترام الناس، فيعرضون عن الانصات إليه، وقد يسكتونه، وربما هاجموه وعنّفوه إذا أساء وألحّ في مقاطعة المتحدثين، ويسمعونه ما يكره، وإذا كان من ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو العلمية سيتجنب الناس حضور مجالسه.

(1) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والكلام لا بد أن يكون هادفاً ومفيداً، وإلا صار من فضول الكلام المنهي عنه، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إيَّاك وَفُضُولِ الْكَلامِ، فإنَّه يُظهر مِن عُيُوبِك مَا بَطَنَ، ويُحرِّك مِن عدوِّك مَا سَكَنَ، فكلامُ الإنسانِ بيانُ فضلِه، وتُرجُمانُ عَقْلُه، فاقصرهُ عَلَى الْجَمِيلِ، واقتصِر مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ، وإياكَ وَمَا يُستقبح مِنْ الْكَلَامِ، فإنَّه ينفِّر عَنْك الكِرام، ويوثّب عَلَيْك اللِّئَام)، وروي عن عمر رضي الله عنه: (مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُه، وَمَنْ قَلَّ وَرَعِه قَلَّ خَيْرُهُ).

ومن يكثر الكلام بلا فائدة يصبح ثرثاراً ويسمى مِهذاراً يمَلّه الناس ولا يحبون الاستماع إليه، وذلك مظهر من مظاهر سوء الخلق، قال العلماء: لا أدلَّ على نقص العقل ورقّة الدّين من الثّرثرة.

ويكفي الثرثار عقوبة أن يكون يوم القيامة بعيداً عن رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ فقد روى الإمام أحمد عن أبي ثعْلبةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدّقون، والمتفيهقون) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ،

وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: (الْمُتَكَبِّرُونَ)(1).

إن الواجب أن لا يطلق المسلم للسانه العنان لتتحدث في كل شيء، وبمناسبة ومن دون مناسبة، وفيما يعلم وما لا يعلم، وفي الخير وفي الشر، وعليه أن يقتصر في كلامه على ما فيه المصلحة والخير له ولغيره، وأن يبتعد عن الكلام الذي لا فائدة فيه، فإن كلام الإنسان مكتوب عليه في سجله وسيحاسب عليه قال تعالى:(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(2).

إن التساهل في عدم ضبط اللسان لا يقتصر ضرره على ما يتركه من أثر سيء في الدنيا، بل ينتظر صاحبه العقاب الشديد في الآخرة، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قالَ: (...ألا أخبرُكَ بِرَأسِ الأَمرِ كلِّهِ وعمودِهِ، وذِروةِ سَنامِهِ؟ قلتُ: بلى يا رسولَ الله، قالَ: رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سَنامِهِ الجِهادُ، ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ بمَلاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ الله، قال: فأخذَ بلِسانِهِ وقالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ الله: وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم)(3).

(1) أخرجه التّرمذي في السنن عن جابرٍ رضي الله عنه.
(2) سورة ق آية (18).
(3) رواه الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال الألباني صحيح. .

إن الرشد والتوفيق في الكلام الذي يُنمي الخير، ويبثّ الطمأنينة في النفوس، ويصلح بين المتخاصمين، ويمنع الفتن، ويطفئ نيران العداوات بين الناس، وما سوى ذلك قد يكون لغواً مضيعة للأوقات، أو سبباً للضلال والإفساد، ورب كلمة تشعل حرباً، وتؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، قال الشاعر:

فَإِنَّ النَّارَ بالعيدان تُذَكَى وَإِنّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَام
فَإِنْ لَمْ يطفها عُقَلَاء قَوْمٌ يَكُون وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامٌ

ويظل المرء في عافية وسلام مادام ممسكاً لسانه عن قول الشر، فإذا خرجت الكلمة من لسانه عجز عن إعادتها، وقد تكون سبباً لهلاكه قال الشاعر:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَأ عَلَى مَهْلِ

وقالوا: (كَلْمُ اللِّسَانِ أَنْكَى مِنْ كَلْمِ الحُسَامِ)، فالجرح الذي يُحدثه اللسانُ أشدُّ إيلامًا مِن جرح السيف.

ورحم الله الإمام الشافعي القائل:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الأَقْرَانُ

ومازال الشعراء يقدمون صوراً مخيفة للأثر السيء الذي يتركه لسان السوء، وما يسببه من بعث للكراهية والعداوات.

يقول الشاعر العراقي يعقوب الحمدوني:

وقد يرجى لجرح السيف برء ولا برءٌ لما جرح اللسان
جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان
وجرح السيف تدمله فيبرى ويبقى الدهر ما جرح اللسان

إن المسلم العاقل الورع يحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بخير ليُسلم نفسه، ويُسلم غيره، ويترك فضول الكلام، ولا يتحدث بكل ما يسمع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كَفَى بالمرءِ كذِبًا أن يحدِّثَ بِكُلِّ ما سمِعَ)(1).

•~•~•~•~•

(1) أخرجه مسلم وأبو داود وابن حبان من حديث أبو هريرة رضي الله عنه

النظام والترتيب في حياتنا

النظام والترتيب من صفات المسلم التواق لأن يكون شخصية تنشد الكمال وتحرص على التحلي بأحسن الأخلاق، ليكون مثالًا وشامة بين الناس، يشار إليه بالبنان احتراماً وتقديرًا.

والنظام والترتيب عكس الفوضى والعشوائية والتخبط، وبالتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجد أنه كان مرتباً ومنظماً في حياته، وفي تعامله مع الآخرين، وكان يجمع بين حسن المظهر وجمال الجوهر.

ونلحظ أن الكثير من المسلمين يهملون بعض جوانب دينهم جهلاً أوكسلاً، وماتزال حياتهم وأوقاتهم غير منظمة على الوجه الحسن والمفيد، مع أن ديننا الإسلامي دين النظام والكمال والأخلاق الراقية، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[1].

أليس من المخجل والمؤسف أن يتخلف أغلب المسلمين عن تنظيم وترتيب حياتهم؟ فحيثما يممت وجهك وجدت الفوضى والعشوائية والإهمال على مستوى الأفراد والأسر

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد باب: حسن الخلق، رقم: (237/90)، وأحمد في المسند(381/2)

والمجتمعات والمؤسسات والدول إلا ما ندر، في تصادم واضح مع السنن الكونية، ومخالفة للتعاليم التي جاء بها الإسلام، وهذا الوضع غير السويّ استثنائيٌّ يجب أن لا نستسلم له، وأن نسعى لتغيير واقعنا إلى حال أفضل من حيث الترتيب والتنظيم والتنسيق، حتى يكون كل شيء في حياتنا في وضعه المرتب والصحيح.

النظام والترتيب من ما ينقص أمتنا اليوم، إذ لايزال كثير من المسلمين متخلفين عن الأمم التي قطعت شأواً بعيداً في ترتيب وتنظيم شؤون دنياها، بينما تغلب العشوائية والارتجال على حياة شعوبنا ودولنا، فتضيع الكثير من أوقاتنا وإمكاناتنا وجهودنا بسبب الإهمال، وعدم الاهتمام بالنظام والترتيب.

والآن دعونا نلقي نظرة عامة على ما في الكون من نظام دقيق، وتنسيق عجيب، وتقدير مُحكَم، لنعمل على محاكاة مخلوقات الله في كونه الفسيح، حتى لا نكون نشازاً عن هذا النظام الجميل والرائع في الأرض والسماء، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾(2)، وقال جل جلاله: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(1)، فلا فوضى ولا عشوائية،

(1) سورة الرحمن آية (7).
(2) سورة يس (40).

ولا تضارب ولا تضاد ولا صراع، بل هو النظام والتناسق الجميل في كل مخلوقات الله.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾[1]، هذا التزاوج والتوازن جعل الحياة تسير بتنسيق وتكامل، ويلحظ المهتمون بالنمو السكاني بعد كل حرب من الحروب أن عدد الذكور الذين يولدون أكثر من عدد الإناث حتى يحدث التوازن بين سكان الأرض، لأن الحروب تهلك الرجال، وإذا نظرنا إلى حال إخواننا في فلسطين الذين يتعرضون للقتل كل يوم من قبل اليهود فإن الملحوظ أن الماجدات الفلسطينيات ينجبن ذكوراً أكثر من الإناث، بينما تشير الإحصاءات أن عدد الإناث في العالم يزيد عن عدد الذكور في الظروف الاعتيادية، والله بتقديره وحكمته ينظم المواليد بحيث لا يختل التوازن في الحياة.

العبادات التي أمر الله بها لا تُقبل إلا بنظام وترتيب توقيفي، فلابد أن تؤدى الصلوات في أوقاتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2]، ويجب أن يلتزم المسلم بركعاتها وسجداتها المعلومة، ولو أراد شخص أن يجتهد ويقول

(1) سورة يس آية (36).
(2) سورة النساء (103).

أنا لن أكتفي بصلاة الفجر ركعتين بل سأصلي ثمان ركعات، أو سأجعل صلاة المغرب أربع ركعات فلن يقبل الله منه، إذ يجب أن تُؤدى هذه الشعائر كما بينها رسول الله عليه الصلاة والسلام القائل: (وَصَلَّوْا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[1] وعندما نقف لنصلي لابد أن نسوي الصفوف لتكون مستقيمة، لأن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، وهكذا يجب أن تكون حياتنا مرتبة ومنظمة مثل صلاتنا.

وفرض الله الصيام في شهر رمضان، فلو أن شخصاً صام العام كله ولكنه يتعمد أن يفطر في رمضان فإن الله لا يقبل منه، إذ يجب أن يصوم مع المسلمين في رمضان وأن يفطر معهم، والحج أشهر معلومات، فمن أراد أن يحج في غير أشهر الحج لا يُقبل منه.

إن النظام والتنسيق المحكم هو شأن كل مخلوقات الله في الكون، وينبغي أن لا يشذّ البشر – وفي المقدمة المسلمون – عن ذلك النظام، إلا أن حياة المسلمين اليوم يسودها الاضطراب وعدم التنظيم في أغلب أمورهم الخاصة والعامة، وإذا كانوا عاجزين عن تنظيم حياتهم العامة وطرقاتهم ومرافقهم وبيوتهم، ويهملون ترتيب أماكن جلوسهم؛ فهل يمكنهم أن يقدموا أنفسهم للعالم كحاملي رسالة العدالة والخير والسعادة والاستقرار!؟

(1) رواه البخاري.

فالواجب إذاً أن لا نستسلم للواقع السيء، ولا نرضى بالتأقلم مع الإهمال والفوضى والتقصير، ولا سيما أننا نعلم بأن دين الإسلام يحثنا على تنظيم الصغيرة والكبيرة من شؤون حياتنا، وهيا بنا نستعرض بعض التوجيهات القرآنية والنبوية التي تدعو إلى النظام والترتيب.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيامن في كل شيء، وفي الحديث أنه كان (يُحِبُّ التَّيَامُنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي طَهُورِهِ وَتَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ)[1]، وهكذا عندما تتوضأ أو تلبس النعال أو تمشط رأسك يجمل بك أن تبدأ من اليمين ثم اليسار.

وتناول الطعام لابد أن يكون بنظام، فلا تسرف ولاتبذر، وفي الأثر(نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نجوع وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَع) حتى لو كان الطعام كثيراً ولذيذاً لابد أن تعمل لنفسك تقديراً، جاء في الحديث (ما ملأ آدميٌ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفَسِه)[2]، ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مَخِيلة)[3]،

(1) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: التيمن في الوضوء والغسل، رقم: (168/ 57)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب: التيمن في الطهور وغيره، رقم: (268/ 131) واللفظ للبخاري.
(2) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن المقدام بن معد يكرب وغيره، وصححه الألباني.
(3) أخرجه النسائي وابن ماجة باب: من لبس شهرة من الثياب، رقم: (3660/ 601) وأحمد والحاكم، وحسنه الألباني.

والمخيلة الزهو والكِبر، (ونهى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُشرب مِن فِيَّ السِّقَاءُ أَوْ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ)(1)، فعندما تأخذ القربة أو الزجاجة لا تشرب منها مباشرة لكن اسكب الشراب في كوب ثم اشرب، خاصة إذا كان سيشرب بعدك شخص آخر، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نهى عن النفخ في الشراب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء [يعني يريد أن ينفخها حتى يبعدها من الإناء]، فقال: أهرقها، قال إني لا أُروَى من نفَسٍ واحد، قال: (فأَبِنْ القدَحَ عن فيك)(2).

واللباس له نظام أيضاً، بحيث يجمع بين ستر العورة وجمال المظهر، قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(3).

امتن الله على عباده أن جعل لهم ملابس يسترون بها عوراتهم ، ويتقون بها الحر والبرد ، ويتجملون بها، وجعل لها نظاماً فلا تكون للتكبر والخيلاء ، ولا تستخدم للفتنه والإفساد ، تجمع بين ستر

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة باب الشرب من فم السقاء (5629/ 1106) .
(2) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .
(3) سورة الأعراف آية (26).

العورة وجمال المظهر ، وتراعي الذوق العام وراحة البدن.

الملابس البيضاء تظهر اهتمام الإنسان بالنظافة، لأن اللون الأبيض لا يكون جميلاً إلا إذا كان نظيفاً من أي وسخ يقع عليه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)[1]، وربما فضل كثير من الناس الملابس الملونة التي لا يظهر أثرُ أيِّ وسخ يقع عليها، توفيراً لجهد التنظيف المستمر، وبشكل عام فإن منظر الثياب المتسخة غير محبب للنفس سواءً كانت بيضاء أو بأي لون آخر.

ومن نظام اللبس أنه لا يليق بالرجل أن يلبس ملابس المرأة، ولا يحسن للمرأة أن تلبس ملابس الرجل، فالمرأة ترتدي من الملابس ما يناسب طبيعتها، ويظهر محاسنها، أما الرجل فليس بحاجة إلى مثل ذلك التّزين وله هندام وقيافة تناسب رجولته، وفي الحديث: (لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)[2].

وللمرأة أن تتزين أمام النساء أو عند محارمها، لكنها لا تتشبه بغير المسلمات فلا تخرج متزينة بين الرجال، أما في بيتها

(1) أخرجه أبو داوود، في باب: الكحل، رقم: (3878/ 696)، وقال الألباني صحيح.
(2) حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فلا حرج عليها أن تلبس أي ملابس مغرية أمام زوجها، بل يحق لها أن ترى من زوجها وأن يرى زوجها منها ما لا يجوز لأحد غيرهما أن ينظر إليه، بما في ذلك الأب والأم والأخ وحتى الأبناء.

ومن النظام في اللبس أن لا يشتمل الصماء، وهي أن يلف الثوب على جسمه، ولا يترك منه مخرجاً ليديه لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك (1)، فلا تَلُفّ نفسك بثوب، وتكون مشدوداً كالتمثال فإذا سقطت على الأرض تقع على رأسك مباشرة، بينما إذا كنت حراً في حركة اليدين ستتمكن من حماية نفسك وتدفع عنها ما يؤذيك، وترد التحية وتصافح من تلقاه.

انظر هذه الأشياء الصغيرة واليسيرة كيف حرص الإسلام على التنبيه لها، لكي تكون حياة المسلم كلها منظمة ومرتبة..

ترتيب المكان الذي نجلس فيه في غاية الأهمية، لأنه يساعد على القيام بواجباتنا وإنجاز أعمالنا بالصورة المثالية، وما أكثر ما نهمل ترتيب غرفنا وبيوتنا، أو مدارسنا وجامعاتنا،

(1) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك الشوارع والمرافق العامة التي تفتقد لكثير من التنسيق والتنظيم.

عندما تدخل بعض المؤسسات الحكومية ستجد الكثير من الأثاث والكراسي مكسرة ومهملة أومكوّمة في بعض الزوايا، ولاسيما في المؤسسات التعليمية، لأننا لم نعود أنفسنا على ترتيب المكان والمحافظة على الممتلكات العامة، ولا شك أن النفس تشعر بالضيق والكآبة في المكان الذي تعم جوانبه الفوضى وعدم الترتيب، ولا تنشرح إلا في المكان المنظم والمرتب الذي يدفع المرء للقيام بواجباته على أكمل وجه.

تعوّد على ترتيب كتبك وأدواتك، لتوفر على نفسك الوقت والجهد، فإذا أردت البحث عن كتاب، أو احتجت مراجعة موضوع كتبته سابقاً - ولكنك لم ترتب ملفاتك - فإنك ستقلب مكتبك رأساً على عقب لتبحث عن ذلك الموضوع، وربما لم تجده فتضطر إلى العودة إلى الكتب والمراجع والملفات حتى تقوم بكتابته مرة ثانية، وقد لا تتمكن من إعادة كتابته كما كان.

وعلى سبيل المثال إذا كنت أقرأ كتابا أو مقالاً وأريد أن أُحدّد بالقلم الأحمر جملة أو فقرة مُهمّة، فإذا لم أجد القلم الأحمر في مكانه سأقضي وقتاً في البحث عنه، وربما ضاعت الفكرة التي كنت أريد الإشارة إليها قبل أن أجد القلم المطلوب!

وأضرب مثلاً آخر:

نستخدم جميعاً قلامة الأظافر وقد نرميها كيفما اتفق، وعندما نحتاجها مرة أخرى نضطر للبحث عنها في أدراج غرفة النوم، أو فوق المكتب، أو على الرفوف، أو في أرضية الشباك.. وقد لا نجدها، ولو أننا رتبنا أدواتنا ووضعنا كل شيء في مكانه، فلن نضيع الأوقات في أمر يسير سببه الإهمال وعدم وضع كل شيء في المكان المحدد.

والخلاصة :

بأن النظام والترتيب هو شأن كل الكون، ولابد أن يكون للمسلم نصيب وافر منهما في حياته، لأن ذلك يساعده على الانتاج وإنجاز الأعمال في أجواء مريحة مساعدة.

وهكذا تكون قد وصلتَ إلى قناعة بأن تكون مرتباً ومنظماً في كل أمورك، وأن تضع لنفسك نظاماً يساعدك على التعلم والعمل

والإنتاج، وأن تتدرب على ذلك بحيث يغدو النظام عادة ملازمة لك، وتسري في كل شؤونك.

وهيّا بنا نعزم على أن يصير النظام والترتيب جزءاً من حياتنا نمارسه بسلاسة وانسيابية ومن دون تكلف!

•~•~•~•~•

النظافة في حياتنا

النَظافة لغة:[1]، اسم مصدر للفعل نَظُفَ، وتنظيف اسم مصدر للفعل نظَّفَ، ونظُفَ يَنظُف نظافةً فهو نظيف وهي نظيفة، والجمع نظيفون ونظيفات، وثَوْبٌ نَظِيفٌ نَقِيٌّ لاَ وَسَخَ بِهِ، نَظَّفَ الثِّيَابَ بَيَّضَهَا وأَزَالَ أَوْسَاخَهَا، ونَظَّفَ الْبَيْتَ رَتَّبَ أَثَاثَهُ وَأَزَالَ مَا عَلِقَ بِهِ مِنْ أَوْسَاخٍ، ونَظَّفَهُ نقَّاه، نظُف الشَّيءُ :خلُص من الوَسَخ أو الدَّنس، ومَكَانٌ مُنَظَّفٌ نَظِيفٌ لاَ أَوْسَاخَ بِهِ، وتَنْظِيفُ الشَّوَارِعِ إِزَالَةُ الأَوْسَاخِ وَالأَزْبَالِ مِنْهَا.

ونظَّف قلبَه: صانه عما يدنِّسُه من الشُّبُهات والمحرَّمات، ونظيف الثّوب بريء من العيب، ونظيف اليدين: نزيهٌ متورّع عن المال الحرام كالرّشوة وغيرها.

فالنظافة إذاً تشمل الجانب المادي المتعلق بحياة البشر على المستوى الشخصي وفي البيوت والشوارع والأماكن العامة، وهي كذلك تتعلق بنظافة القلب والروح، وطهارة اليد عن المال الحرام، والبعد عن الشبهات، لكنا هنا نركز على ما تسببه حياة الإنسان ومعيشته وما يخرج من جسمه أو بسبب حركته الشخصية أو ما يستخدمه من آلات ومعدات.. كل

(1) معجم المعاني الجامع

ذلك ينتج عنه فضلات وتلوث وأوساخ لو تركت من دون تنظيف، وأهمل إزالتها والتخلص منها بطرق صحية فستؤدي إلى التلوث وانتشار الأمراض والأوبئة، مما يجعل الحياة لا تطاق، وعلى العكس عندما تصير النظافة ثقافة عامة يمارسها الصغير والكبير ولا يستنكف عن الالتزام بها أحد مهما كانت منزلته في المجتمع.

والنظافة من صفات الإنسان السوي عموماً، وهي ضرورية للمحافظة على الصحة والوقاية من الميكروبات والأمراض، والمداومة عليها مراعاة للذوق العام، والتعود عليها يجعلها ثقافة تعكس رقي الفرد والمجتمع، أما المسلم فيلتزم بها تعبداً لله تعالى، فالنظافة والطهارة شرط أساسي لقبول العبادات التي يؤديها ويتقرب بها إلى الله جل جلاله، وكتب الفقه الإسلامي عند جميع المذاهب تبدأ بالطهارة التي تشمل طهارة الجسد وطهارة الثوب، وطهارة المكان، وطهارة الماء، وإزالة النجاسات والتخلص منها، وهذا الاهتمام بالنظافة والطهارة يجب أن يكون سمةً عامة في حياة المسلمين الخاصة والعامة.

ومع أهمية النظافة وفوائدها على حياة كل الناس، لكن

تقديم النصح بشأنها مباشرة، والحديث عنها مع الغير مشافهة قد يثير الحساسية والغضب، ويجعل المستمع يظن ذلك تجاوزاً ومن سوء الأدب، وخاصة إذا كان الكلام موجهاً للقادة والرؤساء أو الدعاة أو العلماء أو الآباء أو الكبار الذين لا يدركون ما يقعون فيه من تقصير، ولاسيما تلك القضايا التي تتسم بالخصوصية الشخصية.

فمثلاً إذا كان أحدنا لا ينظف أسنانه بعد الطعام فإن الفضلات المتبقية تتعفن وتصبح رائحة الفم كريهة، وقد لا يشعر صاحبها بذلك، وسيؤذي من يجلس معه، ويخجل الآخر أن ينبهه أو ينصحه، وقد يحصل هذا حتى بين الزوجين فيعيشان سنوات من دون أن يكاشف أحدهما الآخر، وقد يؤدي ذلك إلى النفور والتباعد الذي كان سببه إهمال تنظيف الفم والأسنان بعد الطعام، ولهذا حث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على السواك فقال (السِّواكُ مَطهرةٌ للفمِ ، مَرضاةٌ للرَّبِّ)[1]، ومثل ذلك الرائحة الكريهة للعرق، أو إهمال قص الأظافر، أو عدم إزالة الشعر الزائد من المواضع الحساسة في الجسم..

(1) أخرجه النسائي وأبو يعلى وابن خزيمة عن عائشة رضي الله عنها وقال الألباني صحيح

أحببت في هذه الومضات أن أنبّهَ لهذه القضايا التي تبدو بدهية، وتتكرر ممارستها، غير أنه يصعب مواجهة الغير بها، مع أهميتها وتأثيرها البالغ على حياتنا، وفي علاقاتنا الاجتماعية.

إن التزامنا بتدارك الهِنات المتعلقة بالنظافة والتخلص من جوانب التقصير فيها يساعدنا على تجميل حياتنا، وصبغها بالممارسات الراقية التي تليق بالمسلم الملتزم بالآداب التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

الطهارة والنظافة عنوان المسلم وعلامته المميزة، ويجب أن تطبع كل حياته، فالصلاة أهم فرائض الإسلام لا تنعقد وتكون صحيحة إلا بطهارة البدن، وطهارة الثوب، وطهارة المكان، وفي الحديث (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)(1) ويقول الله عز وجل:﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(2)، وأثنى الله على عباده الذين يتطهرون من النجاسة كما أثنى على عباده التوابين، قال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(3).

وحث ديننا على نظافة الجسد ولاسيما المواضع التي

(1) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء رقم:(223/ 119).
(2) سورة المدثر آية(4).
(3) سورة البقرة آية (222).

يمكن أن تكون بيئة مساعدة لجلب القَذَر والميكروبات، وأمر بأن نتعهدها بالتنظيف، وجعَلها من السنن التي شرعها الله لنا وللأمم من قبلنا، وذلك ينسجم مع الفطرة السليمة، جاء في الحديث الصحيح: (خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ : الْخِتَان ، وَالِاسْتِحْدَاد ، وَقَصُّ الشَّارِبِ ، وَتَقْلِيمُ الْأَظَافِرِ ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ)[1]، وورد أنه يستحب أن لا يتأخر الاستحداد (حلق العانة) ونتف الإبط عن أربعين يوما على الأكثر، وأن يتم الختان بعد الولادة بأسبوع أو أكثر، وقص الشارب وتقليم الأظافر كلما طالت، والمداومة على التزام هذه السنن تجعل المسلم نظيفا وهيئته حسنة، ولا تنبعث منه روائح تؤذي من يخالطهم..

النظافة شأن المسلم حيثما حلّ أو ارتحل، في الريف أو الحضر، في الطرقات أو على موارد الماء، أو في أماكن الانتظار أو تحت الأشجار، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلويث هذه المواضع بالنجاسة، أو إفراغ الفضلات فيها حتى لا تؤذي الناس حيث يمشون أو يجلسون للاستراحة من حرارة الشمس أو الانتظار، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (اتقوا

(1) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم (5889/ 1148)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم(257/ 128)

الملاعِن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل)[1].

وحري بمن مرَّ بماءٍ راكدٍ أن لا يضع فيه من الفضلات ما ينجّسه أو يؤدي إلى عفونته حتى يظل ماءً طاهراً يُستفاد منه، قال عليه الصلاة والسلام:(لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)[2].

ولأن الناس يرتادون هذه الأماكن العامة بكثرة، فلا بد أن يلتزموا جميعاً المحافظة على نظافتها وعدم رمي الفضلات إلا في الأماكن المخصصة لها، ومن باب أولى عدم التبول فيها.

وعلى المستوى الشخصي احرص أن يكون شكلك مقبولاً وهيئتك حسنة، وشعر رأسك نظيفاً ومُرَجَلاً، فمن كان له شعر فليكرمه بتنظيفه ومشطه، روى جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً رأسه شعِثٌ (غير مرجل) فقال:(أَمَا وَجَدَ هَذَا مَا يسكّن بِه شَعْرِه)، أي يضع له دهاناً ويمشط شعره، ورأى آخر عليه ثياباً وسخة، فقال:(أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدْ مَا يُغْسَلُ بِهِ ثَوْبَهُ)[3].

(1) أخرجه أبو داود في باب: المواضع التي نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن البول فيها، رقم: (26) وحسنه الألباني.

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائن .

(3) أخرجه أبو داوود في باب: إصلاح الشعر، رقم(4163/ 743) بلفظ [من كان له شعر فليكرمه] وقال الألباني حسن صحيح

وننبه هنا إلى أننا عندما نتحدث عن النظافة يجب أن لا ينصرف الذهن إلى التأنق المبالغ فيه، فخير الأمور الوسط، احرص على تنظيف شعرك وترجيله حتى تبدو بهيئة حسنة ومقبولة، ولكن مع البساطة واليسر.

كذلك الفم يجب أن تحرص على تنظيفه بعد الأكل، وأن تظل رائحته طيبة، لذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسواك وقال: (لقد أُمِرتُ بالسواك حتى خفت على أسناني)[1]، وفي رواية. أخرى (خَشِيت أَنْ أُدرد)[2]، أي خشيت أن تتساقط أسناني من كثرة السواك، والمراد أن تظل رائحة الفم زكية طيبة.

وفي هذا السياق يأتي النهي عن بقاء الدسومة على اليد بعد الطعام، فمن أكل طعاماً لابد أن يحرص على تنظيف يده من الدسومة التي ربما تكون سبباً في لدغ صاحبها من إحدى الزواحف أو الحشرات، جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يبيت المرء وفي يده غَمْرٌ (وهو دسومة اللحم) فقال: (مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غَمْرٌ فَأَصَابَه شيءٌ فَلَا يلُومنّ إلَّا نَفْسَهُ)[3].

(1) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وصححه الألباني.
(2) صحيح الجامع الصغير.
(3) رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة، وهكذا نراه يهتف بأتباعه ليبلغوا الذروة في التزام النظافة والطهارة، جاء في الحديث (إنَّ الله طَيبٌ يُحِبّ الطِّيب ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرْم ، جَوَادٌ يُحِبّ الْجُود ، فنظفوا أفنيتكم ولاتشبهوا بِالْيَهُود)[1].

وانظر إلى اللفتة الجميلة في الأمر بتنظيف الأفنية؛ والفناء هو المساحة التي تقع خارج المبنى الرئيس للبيت، فجاء الأمر بتنظيفه، وهذا يعني – من باب أولى– أن يكون البيت من الداخل أكثر نظافة.

إن رفع الأذى من الطريق أداء لشعبة من شعب الإيمان، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ)[2]، لأن إهمال النظافة سيجعل البلاد كلها مليئة بالفضلات والقمامات والأوساخ، وهنا دعوة للمبادرة لإبعاد الأذى من الطريق العام، ليس من عمال النظافة وحدهم، بل من كل قادر، فسبحان الله ما أجمل تعاليم ديننا التي جعلت تنظيف الشوارع والطرقات

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب، وحسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (4487)
(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، رقم:(48/ 35) .

ممارسة فعلية لإحدى شعب الإيمان، ودليل على الإلتزام بأداب الإسلام.

•~•~•~•~•

الذوق في حياتنا

الذوق من القضايا التي لا يلتفت إليها كثير من الناس مع أهميتها في حياتنا، وتأثيرها على نفوس من نتعامل معهم، فالذوق يعني احترام الإنسان للآخرين والتأدب في التعامل معهم، والابتعاد عن ما يؤذيهم أو يزعجهم.

التبسم في وجوه الناس ذوق، وعدم رفع الصوت عند الكلام ذوق، والإصغاء للمتحدث تقدير وذوق، عدم السخرية من الآخرين أو التقليل من شأنهم رقي وذوق، وعدم احتقار مظاهر الناس وأشكالهم أدب وذوق، وتجنب ما يؤذي الغير أو ما يستقذرونه ذوق، والابتعاد عن كل ما ينافي الآداب العامة خلُقٌ حسنٌ وذوق .

جاء في معاجم اللغة أكثر من تعريف للذوق، اقتبس منها هذه المعاني: (الذوق يعني آداب السلوك التي تقتضي معرفة ما هو لائق أو مناسب في موقف اجتماعي معيّن، والذوق حاسة معنوية يصدر منها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من أثار العاطفة والفكر، والذوق يعني اللباقة في الكلام، والذوق العام مجموعة تجارب الإنسان التي يفسر في ضوئها ما يحسه أو يدركه من الأشياء، وجمع الذوق أذواق، ورجل ذوّاق كثير الذوق، وقليل الذوق من كان خشن المعاملة، والتذوق الشعور بالنواحي الجمالية

فيما تسمعه أو تراه من أعمال فنية أو أدبية)، وللذوق معاني أخرى لا تعنينا في هذا المقام.

الذوق في بعض اللغات يطلق عليه (الإتيكيت أو البروتوكول)، ويعني اللباقة وحسن التصرف في اللقاءات والمواقف الخاصة أو الرسمية، ويستخدم في الأعراف الاجتماعية والدبلوماسية كتعبير عن ثقافة الشعوب والأمم.

والذوق عكس الجلافة والغِلظة، وعدم المبالاة والأنانية أو ما يطلق عليه (ثقالة الدم)، فالذوق يعني الخلق الراقي، ومراعاة مشاعر الناس واحترامهم، والحرص على أن لا نفعل ما يؤذيهم أو يجرحهم ويكدر خواطرهم.. وتلك أخلاق الإسلام وآدابه التي علمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وربى عليها أصحابه.

والآن تعالوا بنا نستعرض - من تعاليم ديننا الإسلامي العظيم - بعض الأمثلة لمراعاة الذوق، وتقدير مشاعر الناس:

عندما يجتمع ثلاثة في مكان ما، نُهيَ أن يتحدث اثنان ويتجاهلا الشخص الثالث، لأن حديث الاثنين على انفراد يوحي للثالث بأنهما لا يثقان به، أو ربما ظن أنهما يتحدثان عنه بسوء، وقد يشعر

أن شكله لم يعجبهما، أو أن تصرفاً من تصرفاته أثار حنقهما، وربما ظن أنهما يتآمران عليه، ولكن إذا اختلطوا بالآخرين لابأس أن يتحدث اثنان معاً، يقول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتفق عليه:(إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ ، حَتَّى تختلطوا بِالنّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ)[1]، انظروا ما أجمل هذه اللفتة النبوية العظيمة التي تمثل قمة الذوق ومراعاة المشاعر التي يجب أن نهتم بها.

إذا كنا في مجلس وكان المكان مزدحماً وجاء شخص من الخارج، فعلينا أن نتفَسَّح ونوسع له، ولا نتركه واقفاً، لاسيما إذا كان كبيراً أو عالماً، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ الله لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، إنه الذوق الذي يريده الله من الناس في مجالسهم، وقد وعد من يقوم لأخيه ليجلس مكانه بأن يرفع الله مقامه، ويوسع عليه في الدنيا والآخرة.

لكن الكثير من الناس لا يهتم إلا بنفسه فقط، فإذا جلس مجلساً، ثم قدم آخرون ولم يجدوا مكاناً فلا يعطي أي اهتمام للشخص القادم

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
(2) سورة المجادلة (11).

ولا يفسح له بجواره، ومثل هذا السلوك أنانيّة لا تليق بالمؤمنين.

وكذا إذا كنت مع آخرين في رحلة أو مخيم وكان معك فرش وبطانية، ورأيت آخر ليس لديه ما ينام عليه فليس من الذوق أن تتجاهل الآخر، وتهتم بنفسك فقط، إذ ينبغي أن تهتم بمن جوارك، وتساعده في أن يجد فرشاً يستريح عليه.

وفي هذا السياق أذكر عادة طيبة عند اليمنيين في المناسبات، إذا ازدحم المكان يرحب المتقدمون بالمتأخرين ويفسحون لهم بجوارهم بإزاحة المُتّكاءات التي جوارهم، أو يقومون من أماكنهم ويتحولون إلى غرف أخرى أو إلى الردهات المجاورة للمجلس الرئيس، وهذا يشعر كل قادم بالارتياح والإكرام، فيعيد الكرة مع من يأتي بعده..

من الذوق أن لا تؤذي الآخرين بروائح الطعام الذي تأكله، فمن أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو أي شيء من الأطعمة التي تؤذي الآخرين فعليه اعتزال الناس حتى تذهب رائحة تلك الماكولات، وقد رفع عنه الحرج في حضور صلاة الجماعة مع المسلمين في المسجد، حتى لا يؤذي الملائكة والناس، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ أَكَلَ ثوماً أَو بصلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ

مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ)[1]، وفي حديث آخر (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدِنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى بِهِ بَنُو آدَمَ)[2] وتكررت الأحاديث التي تنهى عن حضور المسجد بعد أكل المأكولات التي لها رائحة غير زكية لأنها تؤذي رواد المسجد، كل ذلك حفاظاً على الذوق العام، وحتى يؤدي المصلون شعائرهم في أجواء نقية تساعدهم على الخشوع والراحة النفسية والصفاء الروحي.

ومن الذوق أن يكون مظهرك جميلاً وهندامك وقيافتك حسنة، فلا تظهر بمظهر رثّ أو غير مرتب، ولا ترتدي الملابس التي تكشف العورات تقليداً لمشاهير الفن أو التمثيل أو الرياضة، وإذا لم تكن مضطراً فلا تلبس ثياباً متهالكة، ظناً منك بأن هذا من الزهد، بل يجدر بك أن تظهر نعمة الله عليك من غير استكبار ولا تعالي على الناس، وليس بالضرورة أن تكون الملابس غالية، فقد تكون رخيصة الثمن لكنها جميلة ومقبولة، قال تعالى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3] وجاء في الحديث (إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)[4].

(1)أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: مايكره من الثوم والبقول،رقم(5452/ 1076)،ومسلم في كتاب المساجد، رقم(564/ 224).
(2) أخرجه مسلم في كتاب المساجد.
(3) سورة الضحى (11).
(4) حديث حسن أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمرو رضي الله عنه.

ومن الذوق؛ اختيار الأسماء الحسنة لأولادك، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يحب الأسماء التي تزري بأصحابها، أو التي لها مدلولات مزعجة، جاء في الحديث الصحيح (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أتاه الرجل له الاسم الذي لا يحبه حوله)، فهذا اسمه (حرب) يسميه (سلماً) وهذا اسمه (حزن) يسميه (سهلاً)، وعلى الناس أن يحسنوا اختيار الأسماء لأولادهم أو بناتهم أو ممتلكاتهم أو مؤسساتهم، لأنك قد تختار لابنك اسماً يكون سبة عليه طول حياته، أو مدعاة لسخرية الناس منه.

ومن القضايا المتعلقة بالذوق؛ آداب الاستئذان، فللزيارات نظام، فتكون في أوقات مناسبة وبعد استئذان، فأوقات الآخرين محترمة، وعلينا أن نَزُور بموعد أو بترتيب مسبق، وبعضهم إذا جاء لزيارة أخ له من دون موعد فاعتذر له قد يتألم منه، والأجدر به إذا قيل له ارجع أن يرجع غير مغاضِب، هذا أزكى له وأفضل عند الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾(1).

(1) سورة النور الآيتان (27، 28).

ولا تدخل بيتاً من دون أن تطرق الباب ولو كان منزلك، وحتى أمك لا بد أن تستأذن منها قبل الدخول إلى غرفتها، فقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاباً أن يدخل على أمه إلا بعد أن يستأذن، فلما ألح عليه بيَّن له أنه ربما دخل عليها وهي عريانة تغيِّر ملابسها، وقال له: (استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟)[1].

وإذا أردت دخول بيت فلا تقف في مواجهة الباب مباشرة، بل تحوّل إلى اليمين أو إلى اليسار حتى إذا فُتِح الباب لا ينكشف البيت أمامك، وربما طرق بعضهم ثلاثاً وأربعاً وخمساً، والمسموح أن تطرق ثلاث مرات فقط، تنتظر هنيهة بين الأولى والثانية، وإذا لم يرد أهل البيت فلا يجوز أن تبحث عن ثقب الباب لترى من في الداخل، ومن فعل ذلك ففقئت عينه فلا دية له لأنه تعدى على حرمات الناس، وفي الحديث (كَانَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلْ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ ، وَيَقُول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ)[2].

وكم نشاهد اليوم من طَرْقٍ للأبواب وعدم مراعاة لحالات الناس وأوقات راحتهم! وذلك اعتداء على الناس

(1) ذكره الإمام مالك في الموطأ باب الاستئذان عن عطاء بن يسار رضي الله عنه
(2)أخرجه أبو داوود في كتاب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان؟ رقم (5186/ 937) وقال الألباني: صحيح.

في بيوتهم، فالبيوت لها حرمتها، وربما جاء بعضهم أو اتصل بالهاتف في وقت متأخر من الليل لأمر كان بالإمكان تأجيله إلى وضح النهار، فأوقات الناس ليست كلها مباحة، وهناك ثلاثة أوقات محظورة ﴿ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(1).

هذه الأوقات سميت بالعورات لأن الناس يخلعون فيها ثيابهم أو يستبدلونها داخل بيوتهم، فلا يسمح حتى للأولاد الصغار أن يقتحموا على أبائهم وأمهاتهم غرفهم في تلك الأوقات، ويجب أن يتم تدريبهم على احترامها، وإذا كان هذا حُكم أفراد الأسرة في البيت، فمن باب أولىٰ الزوار والضيوف.

وهكذا نرى كيف يُراعي الإسلام أدق التفاصيل في أدب الاستئذان، ويحق لنا - نحن المسلمين - أن نفخر ونعتز بديننا الذي جاء بهذه الآداب الجميلة.

وفي السلام لفتات جميلة تتعلق بالذوق؛ فالسلام سنّة، والرد

(1) سورة النور (58).

عليه واجب، والأفضل أن يكون الرد بأحسن منه، والسلام على من تلقاه أمان ومحبة واحترام.

وللسلام آداب تراعي حالة الناس ومشاعرهم، فالسُنّة أن يسلم القليل على الكثير، وأن يسلم الصغير على الكبير، وأن يسلم الراكب على الماشي، ويسلم النازل على الصاعد، والماشي على الجالس، والحكمة واضحة في مراعاة حالة الناس، فالصاعد مثلاً مجهَدٌ، وعلى النازل أن يبدأه بالسلام لأنه أقل إجهاداً، والراكب يسلم على الماشي، لأن الراكب في راحة والماشي مرهق، وهكذا، وكذلك القليل يراعون الكثير فيبدأون السلام عليهم.

ومن الذوق حسن استقبال من نلتقيهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل على الرجل أقبل عليه بجسده كله، وكان لا ينزع يده حتى ينزع الشخص الذي سلم عليه يده، مع أن التزامات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة وأوقاته مشغولة، فهو مسؤول عن رسالة، وأمّة، ودولة، ومع ذلك - أدباً وذوقاً - كان لا ينزع يده من يد الرجل حتى يكون هو الذي ينزع يده، وعندما يقبل على الشخص يلتفت

إليه بوجهه وكامل جسده، ولا يتوجه إليه بجزء من وجهه أو جسده.. فتمام الذوق أن تقبل على الشخص بكامل جسدك وتجعله يشعر باهتمامك واحترامك.

وكثيراً ما يحدث في لقاءاتنا إهمال هذه اللفتة المؤثرة؛ فقد تسلم على شخص وتضع يدك في يده بينما تظل تتحدث دقائق مع آخر أو ترد على الهاتف ولا تلقي بالاً لمن صافحته، وكذلك عندما تتحدث مع من تقابله بينما تنظر يميناً أو يساراً، وهي إشارة لعدم اهتمامك بالشخص الذي أمامك، ويكون هذا التجاهل أكثر سوءاً إذا كان مع والدك أو والدتك.. وما أكثر حاجتنا للتعود على ممارسة العادات الذوقية الحسنة لننشر المحبة ونزيد في المودة، ونشيع أجواء الثقة والاحترام.

ومراعاة للذوق احرص أن تتجنب وضع شيءٍ من الفضلات في أماكن تؤذي الناس كالطرقات، أوفي موارد الماء، أوفي الأماكن التي يستظلون بها، أو المرافق العامة، كما يحدث عندما يخرج بعض الناس الحديقة وحده أو مع أولاده ثم يأكلون ويشربون ويرمون فضلات الطعام حولهم وينصرفون!

لا شك أنك إذا جئت إلى مكان وهو مليئ بالفضلات فلن ترتاح نفسك، ولن تطمئن للجلوس فيه، وعليك أن تعلم أن غيرك مثلك يكره القذَر والقمامة، والأسوأ أن يقوم البعض بالتبول والتبرز في أماكن راحة الناس، أو يسمح لأطفاله أن يعملوا ذلك.

ومن الذوق الراقي: النظام في أكل المعدود، فعندما تكون في مجموعة ويقدم لكم طبق فيه بلح أو مشمش أو غيره من المعدودات، فلا تأكل هذه الفاكهة إلا واحدة واحدة، ولا تأكل اثنتين اثنتين أوثلاثاً ثلاثاً حتى لا تأخذ نصيبك ونصيب غيرك، فكثير من الناس يخجل عن التسابق على الطعام، بينما يأكل النَّهِم حقه وحق غيره، وقد جاء في الحديث: (مَنْ أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ تمراً فَلَا يقرِن إلَّا أَنْ يَأْذَنُوا لَه)[1]، كأن يقول لهم: يا إخوتي: لقد بلغ الجوع مني مبلغه فاسمحوا لي آكل اثنتين اثنتين..

ومثل ذلك عندما تشرب من قربة أو زجاجة أو إناء سيشرب منه آخرون بعدك فلا تنفخ في الشراب مراعاة لمن سيشرب بعدك، وإذا لم تجد كوباً فأبعد الإناء عن فيك

(1) رواه الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني.

واشرب، فقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن النفخ في الطعام والشراب [1]، إرشاداً للبعد عن كل ما يُستَقذر فعله.

الحياء خُلُق يدفع صاحبه لاجتناب القبيح من الأقوال والأفعال، وقيل هو تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به ويُذَم، والحياء كله خير، ولا يأتي إلا بالخير، وهو أحد شعب الإيمان، والمسلم يحرص على حيائه أمام الله وأمام الناس ذوقاً وأدباً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله عز وجل حليم حييّ ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)[2]، فستر العورات خلق يجب أن يلتزم به الجميع؛ حتى الرجال مع بعضهم، والنساء مع بعضهن.

إذا كنت صحيحاً قوياً، أوكنت غنياً وصاحب جاه، فإن ذلك لا يعطيك الحق أن تتبختر في مشيتك وتتعالىٰ على الآخرين، أو تنظر إلى الناس شزراً من فوق سيارتك الفارهة، بل يجب أن تتواضع لله، وتشكره على نعمه التي أسبغها عليك، لأن قوتك وغناك عَرَضٌ زائل فلا تغتر به، ويجب عليك أن تراعي مشاعر الناس وأحاسيسهم، قال

(1) صحيح الجامع عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.
2) صحيح النسائي عن يعلى بن أمية رضي الله عنه وقال الألباني صحيح.

تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾(1).

نظافة الطعام الذي نأكل منه ذوق لا بد من التزامه، فقد (كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يَضَعَ النَّوَى مَعَ التَّمْرِ)(2)، أي التمر الذي لم يؤكل، وإذا كان هذا شأن النواة بعد أكل التمر فمن باب أولى أنواع الأطعمة الأخرى، فقد يأكل بعض الناس اللحم ويرمي العظم إلى الطعام النظيف، وهذا سلوك تعافه النفوس السوية، والأولى أن يرمي الفضلات بعيداً عن الطعام الذي لم يؤكل، وحتى المحتاج والفقير يجب أن لا نقدم له طعاماً قد عبثت به الأيادي، وإنما نعطيه طعاماً نظيفاً مرتباً.

من الذوق أن تعتني بنظافة الحمام الذي تستخدمه، فلا تدخل الحمام ثم تخرج قبل أن تنظف المكان مما عملت فيه، فمثلما تحب أن يكون الحمام نظيفاً عند دخولك؛ فعليك أن تتركه نظيفاً عندما تخرج منه، ولا تدع شيئاً من فضلاتك ظاهرة سواء كان ذلك في سكنك الخاص أو كنت في مجتمع عام مثل جامعة أو مخيم، إذا اغتسلت بصابون، فلا تُبقِ آثار

(1) سورة الإسراء آية (37).
(2) رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه.

الصابـون أوأي شيء اسـتخدمته، بـل عليـك أن تجمـع تلـك الفـضلات، أو التي خرجـت مـن جسـمك وتخلّص منهـا بطريقـة صحيحـة، فـإذا كانـت مـن التـي تذهـب بجريـان الماء اصبـب عليهـا مـاءً، وإن كانـت مـواد صلبـة أو بلاسـتيكية أو ورقيـة فاجمعهـا في كيس أو نحـوه وأخرجهـا أو ضعهـا في سـلة القمامـة، ولسـت بحاجـة إلى مـن ينصحـك أو يطلـب منـك ذلك،وليـس مـن اللائـق أن تترك تلـك الفـضلات والمخلفـات ليـأتي شـخص بعـدك ينظفهـا!؟

هـذه قضايـا شـخصية يجـب أن تقـوم بهـا بنفسـك مـن دون أن يأمـرك أحـد أو ينهـاك، فالنـاس يكرهـون هـذا الإهمـال ولكنهـم في الغالـب يخجلـون مـن التعقيـب عـلى المقصريـن!

وأختتـم هـذا الموضـوع بلفتـةٍ مهمـة تعلمنـا الـذوق الرفيـع، يقـول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: (إِذَا اسْـتَلْقَى أَحَدُكُـمْ عَـلَى قَفَـاهُ فَـلَا يَضَـعُ إِحْـدَى رِجْلَيْـهِ عَـلَى الْأُخْـرَى)[1]، والحكمـة واضحـة، لأن الهيئـة التـي يكـون عليهـا المسـتلقي عـلى ظهـره بهـذه الصـورة؛ ربـما تجعلـه يحـدث مـا يُحرجـه، وينـزّل مـن قـدره أمـام الآخريـن،كأن يخـرج منـه صـوت أو ريـح أو تنكشـف سـوأته مـن دون أن يشـعر.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد عن جابر رضي الله عنه والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما .

انظروا إلى روعة وجمال هذه الآداب التي يريد الإسلام أن تطبع حياة المسلمين، فهذه الأخلاق تجعل المجتمع المسلم نموذجياً، فلا فجاجة ولا تنطع ولا غلظة، ولا جلافة في التصرفات والسلوك، بل حرص على مراعاة المشاعر والالتزام بالذوق الرفيع.

•~•~•~•~•

الجمال في حياتنا

الجمال يبعث في النفس السرور والرضى، الجمال بمعانيه الواسعة جمال الظاهر والباطن، جمال الخَلْق والخُلق، والجمال ليس قاصراً على ما ينصرف إليه ذهن بعض الناس بأنه جمال الوجه والجسد، أو جمال اللبس والثياب، نعم ذلك جزء من الجمال ولكنه ليس الجمال كله:

ليس الجمالُ بمئزرٍ فاعلم وإن رُدَّيت برداً
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجداً [1]

وفي المعجم: [جَمُل جمالاً] حسن خلْقه وخلُقه فهو جميل، و[جمّله] حسَّنه وزينه، و(تجمّل) تكلف الحسن والجمال، وظهر بما يجمُل.

والحُسن جزء من الجمال و(حَسُن حسناً) جَمُل فهو حسن، وحسناء جمعها حِسَان، وأحسن الشيء أتقنه، وحاسنه عامله بالحسنى، وحسَّن الشيء جعله حسناً وزيَّنه، وتحسّن تجمّل وتزيّن، فالحُسْن الجمال، وكل مبهج مرغوب فيه[2].

وهكذا يصبح الجمال بهذا الفهم الواسع شاملاً لجوانب حياتنا الخاصة والعامة، المادية والمعنوية، يدخل في ذلك حسن المظهر ونقاء الجوهر، جمال الشكل والهيئة، وجمال النفس حين تحب الخير

(1) من قصيدة للشاعر المخضرم عمرو بن معدي كرب الزبيدي .
(1) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ المكتبة الإسلامية ـ إسطنبول ج (1) ص 136.

للآخرين، وجمال القلب حين يفيض عطفاً ورحمة على الصغير والمريض والضعيف..

إن بناء الكون قائم على الجمال البديع الذي يأخذ بالألباب، بل إن الجمال صفة من صفات ربنا خالق الكون جلّ في علاه، فقد جاء في الحديث: "إن الله تعالى جميل يحب الجمال"[1]، ويلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى جمال الكون، وحسن صنعه، وبديع خلق الله فيه، فيقول: (إنا زيَّنَّا السماء بِزِينة الكواكب)[2]، وعظمة السماء ليس ببنائها المتماسك وسعة فضائها فحسب، بل بجمالها الأخّاذ الذي يسلب العقول والألباب، فقد زيّنها الخالق جل جلاله بمنظرها الجميل، وبالنجوم والكواكب التي تسير على مدار الثانية لا تتصادم ولا تتساقط، ترسل أنوارها لترسم لوحة بديعة تعجز كل مفردات اللغة عن وصف روعة ما فيها من جمال.

وقد تعددت آيات القرآن التي توجه أنظارنا إلى التأمل في جمال السماء ونجومها وتناسقها، قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾[3]، فدقة البناء وفخامة الزينة في السماء، تشير إلى هذا الجمال غير المتناهي الذي لا

(1) رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – برقم: (131).
(2) سورة الصافات آية (6) .
(3) سورة ق آية (6).

تشبع منه العين مع دوام وتكرار رؤية السماء في الليل والنهار.

يتفنن الملوك والزعماء والأثرياء في قصورهم بالثريات الضخمة التي تتدلى من القبب والسطوح بألوانها الجميلة وأضوائها الملونة، لكنها تظل لا شيء بالنظر إلى المصابيح التي تزين السماء بضخامتها وأنوارها وكثرتها وجمالها قال تعالى:﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1] وفي سورة الحجر:﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[2] فقد زينها ربنا جل جلاله ليستمتع من ينظر إليها بحسنها وجمالها وأفقها الواسع.

وفي القرآن الكريم لفتات كثيرة ترفع من شأن الجمال، وتدعو إلى الاستمتاع به، فقد امتن الله على البشر بأن سخر لهم الأنعام يأكلون لحومها ويصنعون منها ملابس تقيهم قسوة البرد، ويستخدمون تلك الأنعام للركوب والنقل، لكن فائدتها لا تقف عند حدود تلبية ضروريات الحياة، بل فيها ما يريح النفوس ويبهج القلوب في شكلها ومنظرها في غدوها ورواحها قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ

(1) سورة الملك آية (5).
(2) سورة الحجر آية (16).

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ومازال الإنسان يتفنن في تزيين وتحسين وسائل المواصلات المختلفة البرية والبحرية والجوية؛ ليجعل ركوبها متعة للنظر، وراحة للجسد، وجمالاً وحُسناً تستمتع به النفس، كما ظل يقوم بتزيين وسائل الركوب الحيوانية ليكون فيها جمال وبهجة ومتعة.

وقد امتن الله على عباده بأن جعل لهم ملابس تستر عوراتهم وتقيهم الحر والبرد، ولكن فائدة الملابس لا تقف عند حدود تلبية الضرورة وستر العورة، فمنها ما يخصص للتجمل وحسن المظهر، قال تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا﴾[2]، والريش يطلق على لباس الزينة، هذا الريش والجمال في اللباس يعطي المظهر الحسن للإنسان، وهو هدف مرغوب ومطلوب، وقد أمر الله عباده أن يهتموا بمظهرهم، ولاسيما حين يذهبون إلى المساجد للصلاة، حيث يلتقون ويتحدثون، فيجمل بهم أن تكون هيئاتهم حسنة، وروائحهم زكية، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[3].

(1) سورة النحل آية (5 ـ 8).
(2) سورة الأعراف آية (26).
(3) سورة الأعراف آية (31)

الثوب الحسن، والمظهر الجميل، لا يعني التعالي على الناس أو الاستكبار، بل هو محافظة على المنظر الجمالي، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر" قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة! قال: (إنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْر بطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)[1].

إن الأرض كلها موعودة بالبناء والزخرفة والتجميل، ولن تقوم الساعة حتى يستكمل الإنسان عمران الأرض وتزيينها إلى الحد الذي يجعله يشعر بالزهو والاعتداد بقدرته، وحينها يأذن الله بالانتقال إلى الحياة الأخرى التي لا حدود لجمالها وبهائها، قال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[2].

والزينة متاحة وغير محرمة إذا لم يكن فيها إسراف ولا استكبار ولا افتخار على الناس، ويجب أن لا تلهي المؤمن عن القيام بأوامر الله والالتزام بطاعته: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي

(1) حديث صحيح رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
(2) سورة يونس آية (24).

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1]

، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[2].

والجمال يظهر في التناسق والتكامل، الذي يضفي روعة وجمالا علي اعمالنا وصناعاتنا .

والجمال يظهر في اليسر وحسن التعامل، وفي الوفاء بالوعد، وفي حفظ الأمانة، والجمال في إنجاز الأعمال في مواعيدها، وهو كذلك في أن نصنع من اليسير الذي بين أيدينا شيئاً مبهجاً ومريحاً للنفس.

إن الانشغال في دوامة الحياة وظروفها القاسية والمعقدة ربما صرفت الاهتمام عن مراعاة الجمال في حياتنا، فنبدو وكأننا تروس في آلة كبيرة ندور معها ولا ندرك الحسن والجمال في تفاصيل ذلك الدوران، فضلاً عن الاستمتاع به.

العفو والمسامحة، والصفح عن الأخطاء يجب كذلك أن يتسم بالجمال، فلا حقد معه ولا ضغينة، ولا ملاومة بعد العفو ولا

(١) سورة الأعراف آية (32) .
(2) سورة الكهف آية (7).

عتاب، قال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(1).

وحين يتعرض الإنسان للمحن والمصائب فعليه أن يصبر، ولكن مع الحرص أن يكون ذلك الصبر جميلاً، فلا شكوى معه ولا تضجر ولا تسخط ولا إيذاء للآخرين كما جاء في القرآن الكريم على لسان يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾(2)، وعندما لامَهُ أولاده على حزنه الشديد حتى ابيضت عيناه من الحزن: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(3)، إن الغضب ورفع الصوت، واستمرار الشكوى والأنين ينافي الصبر الجميل.

وحتى الطلاق المؤدي إلى الفراق بين الزوجين لا بد أن يراعى فيه الجمال، ففي أشد الأوقات ضيقاً وانفعالاً، وحين تصبح الحياة جحيماً لا يطاق بين الزوج وزوجته، فيتم الطلاق أو الخُلع والافتراق وتنتهي تلك الرابطة القدسية بينهما، فإن الواجب أن يسرح الرجل مطلقته سراحاً جميلاً، وبإحسان، قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(4)، فلا داعي للحديث عن العيوب، أو نبش الماضي، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ

(1) سورة الحجر آية (85).
(2) سورة يوسف آية (18).
(3) سورة يوسف آية (86).
(4) سورة البقرة آية (229).

لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(1)، واللباس كناية عن الستر الجميل عن كل شيء ظاهر وباطن، فكلا الزوجين مستودع لأسرار الآخر، فلا داعي للتنكر للأيام الخوالي، حتى لا يكون الطلاق والفراق ظلماً أو استكباراً أو استعلاءً، ولا إهانة أو ازدراءً أو انتقاماً، وفي حال حدوث مثل هذه التصرفات غير اللائقة، فإنه يُعد من سوء استخدام الحق، والواجب على الزوج إذا أحبّ أن يكرم، وإن كره فلا يظلم، والمرأة كذلك لا يجمل بها أن تستمرئ الحديث عن عيوب زوجها، فحتى بعد الفراق يؤدبنا الله سبحانه ويرشدنا بقوله:﴿وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(2)، إنه الأدب الراقي، والتعامل الإنساني الرفيع، وعدم نكران الجميل بعد أن تم الفراق.

والصدقة والإنفاق ومساعدة الآخرين، يجب أن يكون فيها جمال، فلا يتبعها مَنٌّ ولا أذى:﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(3)، هكذا يجمل بالمنفق أن يراعي مشاعر من يعطيهم، فلا يتعالى عليهم، ولا يُشَهِّر بهم ليظهر عطاءه

(1) البقرة آية (187).
(2) سورة البقرة آية (237).
(3) سورة البقرة آية (262).

لهم: (الصَّدَقَة خفياً تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ)[1]، بل على المعطي أن يحرص على إخفاء عطائه حتى كأنه لا يدري لمن أعطى، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه، فقد ذكر الحديث سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: (..وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تُعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)[2]، إنه جمال ونبل المحسنين، الذين لا يجرحون كرامة المحتاجين، ولا يشعرونهم بالدونية.

كم هي الدقة والإتقان فيما نزرع أو نصنع أو نشيّد من بنيان؟ هل نزرع الأشجار بنظام وتنسيق يسر الناظرين؟ هل نراعي اللمسة الجمالية في المباني العامة والخاصة؟ هل التشطيبات متقنة وناعمة ومتناسقة؟ هل شوارعنا وأسواقنا وحدائقنا تنطق بالجمال، أم أن فيها من التنافر والتزاحم والفوضى ما يبعث على الضيق والضجر؟ وقد يكون الشارع واسعاً ولكن وقوف السيارات على جانبيه بشكل متداخل وغير مرتب يشوّه المنظر، ويجعل الحركة فيه صعبة وغير انسيابية.

قد تدخل بستاناً مليئاً بالأشجار الخضراء، لكنها غير منسقة، والطرقات والفراغات بينها ليست محسوبة، فلا تستطيع الاستمتاع بجمالها ونضارتها، ولا تتمكن من السير فيها بسهولة.

(1) أخرجه الطبراني في الاوسط عن ام سلمة رضي الله عنها -صحيح الجامع الصغير.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، رقم:(660/ 141)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة، رقم (1031/ 397).

ربما يبني أحدهم بيتاً يختار له أغلى المواد، ولكن عينك لا ترتاح لمنظره العام، لغياب التناسق بين الأشكال والألوان والكتل، وما أجمل البيت الصغير المتواضع عندما تدخله فتجد اليد الحانية قد جمّلته بحسن الترتيب والنظافة والإبداع، وقد تنفر النفس من البيت الضخم في بنائه والغالي في أثاثه، لاسيما عندما يُصدم نظرُك بالعبث أو الإهمال الذي يبدد الجمال.

وحتى الكثير من مقابرنا فإنها غير مرتبة، ليس فيها طرقات تسمح للزائر بالسير دون أن يتخطى القبور، ولا توجد أشجار يستظل تحتها الزائرون للمقابر، ولا أرصفة أو ساحات يجتمع فيها المُعزُّون؟ وقد قال أحدهم: عندما ننجح في تنظيم مقابرنا سنتمكن من تنظيم حياتنا.

إن التنسيق وحسن التنظيم جمال، ووضع كل شيء في موضعه المناسب جمال، والتكامل بين جهود الناس جمال، والتعاون على ما ينفع الإنسان جمال، والتعاون في بناء الأوطان جمال..

الجمال سلوك وتربية، ينبغي التعود عليه وتعليم وتدريب أطفالنا وشبابنا على إظهاره ابتداءً من المنزل، ثم في مؤسساتنا التعليمية، وبرامجنا الإعلامية، ليصبح ثقافة وطبعاً وخلقاً ينعكس

في حياتنا وتصرفاتنا، يمارسه الطالب في مدرسته وجامعته، والموظف في مكتبه وإدارته، والطبيب في عيادته، والمهندس في مخططاته، والمسؤول في دائرة سلطته، والبائع والتاجر في تعامله وأسلوب عرض سلعته.

ترى كم نصيب الجمال في حياتنا العامة والخاصة؟

إن الجمال مبثوث في بديع ما خلق الله في السماء والأرض، وعلى الإنسان أن يقتبس من ذلك الجمال العريض الواسع ما يُجمّل مظهره وحياته وعمله وسلوكه، ويجعله يستمتع بما هيأ الله له من مخلوقات ونواميس، فحياتنا يمكن أن تكون كلها جمالاً إذا أحسنا التعامل معها!

وليت شعري لماذا لا يهتم الإنسان بشكله ومظهره ليبدو حسناً وجميلا ومقبولاً، لماذا لا يختار من الألوان ما يبعث على راحة العين، فلا يلبس ألواناً متنافرة، أو يأتي بشكل مقزز، أو برائحة كريهة مؤذية.

عندما نهتم بالجمال سنضفي على حياتنا رونقاً ولطفاً وبهجة، سَتَقَرُّ أعيينا بما نرى، وترتاح نفوسنا لما نشاهد، وسنرضي ربنا جل جلاله لأنه جميل يحب الجمال.

•~•~•~•~•

الإتقان في حياتنا

الإتقان أن تبذل أقصى الجهد، وتختار أحسن الوسائل وأقل التكاليف، وأعلى المواصفات لإنجاز عملك، فلا يأتِ من يستدرك عليك، أو يُظهر خللاً أو عيباً فيما قمت به من عمل، ومقتضى الإتقان أن لا يصحب العمل أي خيانة أو غش أو خداع، أو إهمال أو تقصير.

الإتقان إنجازٌ للأعمال على أكمل وأجمل وأبهى صورة، ومن يتقن عمله يفضل الناس التعامل معه ويثقون به، ويجد منهم التقدير والاحترام، وعلى العكس عندما لا يحسن الصانع صنعته إلا بالتنبيه المستمر والاستدراك أو اللوم ولفت النظر، فينصرف الناس عنه لأن عمله غير متقن، ولأن النقص والإهمال وعدم الإحكام أسلوبه وطريقته.

وفي معجم لسان العرب: (أَتْقَنَ الشيءَ أَحْكَمَه، وإِتْقانُه إِحْكامُه، والإِتْقانُ الإِحكامُ للأَشياء وفي التنزيل العزيز (صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كلَّ شيء) ورجل تِقْنٌ وتَقِنٌ مُتْقِنٌ للأَشياء حاذِقٌ، وتِقْنٌ اسم رجل كان جيِّدَ الرَّمي يُضْرَب به المثل ولم يكن يَسْقُط له سَهْم.. ثم قيل لكل حاذق بالأَشياء تِقْنٌ ومنه يقال أَتْقَنَ فلانٌ عمَله إذا أَحْكَمَه.

والإتقانُ: الإحكامُ، يُقالُ: أَتْقَنَ الأَمْرَ إتْقانًا: إذا أَحْكَمَهُ، وإتْقانُ الشَّيءِ: إصْلاحُهُ وضَبْطُهُ، ومَنْعُ وُقوعِ الفَسادِ والخَلَلِ فِيهِ. ورَجُلٌ تِقْنٌ، أي: حاذِقٌ بِالأشياءِ.)

فالإتقان إجادة الإنسان لكل ما يقوم به من أعمال، أو صنائع، وفي معجم المعاني الجامع يقال: صَانِعٌ يُنْجِزُ أعْمَالَهُ بِإِتْقَانٍ أي بِإِحْكَامٍ وضَبْطٍ، وفي غاية الإتقان: بمنتهى الدقة.

لقد وصف الله جل جلاله بديع صنعه بالكمال والتمام فقال تعالى:﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(1).

إننا نشاهد الإتقان في كل ما خلق الله سبحانه من الذباب والذرّة إلى السماء والمجرّة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾(2)، إنه الخَلْق المتكامل الذي ليس فيه اختلاف، ولا تنافر، ولا مخالفة، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل.. انظر إلى السماء هل ترى فيها عيباً، أو نقصا، أو خللا، أو فطوراً..

(1) النمل(88).
(1) الملك (3).

إنه الإتقان التام والتنسيق المحكم، والأداء المتناغم الذي يستحيل أن ترى فيه اعوجاجاً أو قصوراً.. فسبحان الله الخالق العظيم!

والمطلوب من المسلم أن يقتبس من هذا الإتقان فيحرص على الإحسان والإحكام في أداء كل أعماله، فلا يترك ثغرة ولا عيباً إلا سدّه وعالجه، تقرباً إلى الله جل جلاله حتى إذا لم يطلب منه الناس أن يفعل ذلك، أو لم يدركوا جوانب الإهمال في عمله، وكم نشعر بالامتنان لمن نتسلم منه شيئاً اتفقنا معه على صنعه؛ فإذا به يأتي أفضل وأجمل وأدق مما طلبناه، والعكس عندما نفاجأ بالنقص والخلل في العمل والصنعة، وربما نسمع التبرير للعيب والقصور، والإصرار على أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان!

الإتقان مطلوب في كل جوانب حياتنا، ابتداء بالإيمان الذي ينبغي أن يبلغ درجة اليقين، وفي الشعائر التعبدية وإتقانها والإحسان في أدائها، وفي حديث جبريل قال: ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ) (1).

الإتقان في جميع العبادات التي يجب أن تقترن بالإخلاص،

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري -واللفظ له- ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأن يكون أداؤها على أكمل صورة أمر بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فالطهارة يجب أن تكون تامة للبدن والثوب والمكان قال صَلَّى اللهُّ عليه وسلَّمَ:(لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بغيرِ طُهُورٍ ولا صَدَقَةٌ مِن غُلُولٍ) (1)، وعند الوضوء لا بد من إسباغ الماء على الأعضاء، فقد رأى رسولُ اللهَّ صلَّى اللهُّ عليهِ وسلَّمَ قومًا يتوضَّؤونَ، وإذا أعقابُهم تلوحُ ولم يصلَ إليها الماء، فقالَ: (ويل للأعقابِ من النَّارِ. أسبغوا الوُضُوءَ.)(2) ، فإتقان الوضوء شرط لصحة الصلاة.

والصلاة لا تكون مقبولة حتى يستحضر المصلي موقفه بين يدي خالقه جل جلاله، فيطمئن في قيامه وركوعه وسجوده، وهذا الإتقان أساس لتكون الصلاة مقبولة عند الله، وقد روي (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَرَدَّ وقالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا، فَقالَ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقالَ: إذَا قُمْتَ إلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ معكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(2) أخرجه أصحاب السنن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، وقال الألباني صحيح.

تَعْـدِلَ قَـائِمًا، ثُـمَّ اسْـجُدْ حتَّـى تَطْمَئِـنَّ سَـاجِدًا، ثُـمَّ ارْفَـعْ حتَّـى تَطْمَئِـنَّ جَالِسًـا، وافْعَـلْ ذلـكَ في صَلَاتِـكَ كُلِّهَـا)[1].

والإتقـان في الصيـام أن يكـف المسـلم الصائـم لسـانه وأذاه عـن النـاس، والإتقـان في الـزكاة أن يخرجهـا كاملـة وأن تطيـب بهـا نفسـه، فلا ينفـق الـرديء ويحتفـظ لنفسـه بالجيّـد، والإتقـان في الحـج أن يكـون مبروراً لا رفـث فيـه ولا فسـوق ولا جـدال.

وفي تلاوة القـرآن يتقـدم المتقـن في الأجـر، وفي القبـول عنـد الاسـتماع إليـه، ولهـذا وضـع العـلماء عـلماً يسـاعد على إتقـان الـتلاوة أطلقـوا عليـه اسـم علـم التجويـد، يقـول صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: (الماهِـرُ بالقـرآنِ مـع السـفرَةِ الكـرامِ البرَرَةِ ، والـذي يقـرؤُهُ ويتَعْتَـعُ فيـهِ وهـو عليـه شـاقٌّ لَـهُ أجـرانِ)[2]، والحافـظُ المتقـن لا يَصـل إلى ذلـك إلَّا بعْـدَ عَنـاءٍ ومَشـقَّةٍ فاسـتحق أن يكـون مـع السـفرة الكـرام البررة.

والإتقـان كذلـك في المعـاملات والأخلاق والآداب، فالمحافظـة على الأمانـات وإيصـالها لأصحابهـا مـن دون نقـص أو تـأخير أو تلكـؤ أو مماطلـة إتقـانٌ، ورد التحيـة بأحسـن منهـا إتقـان، قـال تعـالى: (وَإِذَا

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) الحديث ورد في صحيح الجامع وأخرجه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)[1]، وفي سائر التعامل التجاري أو المجتمعي يظل الإتقان الصفة التي تجمّل أصحابها وتكسبهم تقدير الآخرين.

والإتقان مطلوب حتى عند ذبح ما يؤكل من الحيوانات، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ اللهَّ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتُم فأحسِنوا القِتلةَ وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذِّبحةَ وليُحدَّ أحدُكم شَفْرَتَهُ وليُرِح ذبيحتَه)[2].

والإتقان يشمل حتى الصدقة التي تقدمها للمحتاجين، فعندما تتصدق بالفضل من طعامك لا يكفي أن تجمع الأرز واللحم والسلطة والإدام في كيس واحد وتقدمه للمسكين، بل الإتقان والإحسان أن ترتبه في علب أو صحن فيه عدة أقسام وأن تضع كل صنف على حده وتحسن تغطيته بالقصدير أو غيره ثم تسلمه وكأنه طلب خاص جاء من المطعم، فهذا أكرم لنفس ومشاعر المحتاج.. وكان أحد المحسنين عندما يريد مساعدة محتاج، يضع له أوراقاً نقدية بين ثنايا ورق كبير، ثم يجعلها في ظرف معتم ويغلفه ويدفعه لرسول مؤتمن ليوصله لصاحبه وكأنه محاضرة مطبوعة أو

(1) (النساء آية 86).
(2) حديث أخرجه مسلم والترمذي -واللفظ له- عن أوس بن شداد رضي الله عنه، وصححه الألباني.

أوراق معاملة، وهذا من تمام الإتقان والإحسان، قال الله تعالى في الصدقات: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً.

وإتقان العمل مطلوب لذاته، وليس لأنه ضروري لصلاحية الصنعة، فالكهربائي يقوم بتركيب المفاتيح وتصبح صالحة للاستعمال لكنها ليست على خط مستقيم، أو أن بعضها برز قليلا أو هبط قليلا، فصار منظرها سيئاً، وتمام العمل أن لا يكون فيها هذا التّشوّه الذي لا يريح العين، والنجار الذي يصنع باباً محكماً، لكنه عندما يقوم بتركيبه يهمل وضع اللمسات الأخيرة التي تجعله جميلاً وناعماً، وعلى الرغم أن الباب صار يؤدي الغرض، لكن الإتقان أن يضع له البرواز واللمعة التي تبرز منظره الحسن..

إن إحسان العمل وإتقانه يجب أن يكون في الكبير والدقيق من أمور الحياة حتى في وضع الميت في قبره، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة في البقيع، فانتُهِيَ بالجنازة إلى القبر، ولم يُمَكّن لها، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سوّوا في لحد هذا.. أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن) [2].

(1) البقرة 271
(2) أخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وحسنه عن كليب الجهني رضي الله عنه.

إتقـان المعلـم يظهـر باهتمامـه في إعـداد دروسـه وحسـن عرضهـا، ومتابعتـه لطلابـه وتجديـده في أسـاليب التدريـس واسـتخدامه للوسـائل التعليميـة التـي تسـاعد الطالـب على فهـم الـدرس.

وإتقـان الطبيـب لعملـه في إلمامـه بتخصصـه، واطلاعـه على كل جديـد في مجالـه، وحسـن تشـخيصه للمـرض، وأن يجتهـد في الـعلاج، وإذا أجـرى عمليـة جراحيـة أحكـم الفتـح وإزالـة سـبب الألم ثـم يتقـن القَفـل والربـط مـع التعقيـم الكامـل لـكل أدوات العمليـة، والنظافـة الشـاملة قبـل العمليـة وفي أثنائهـا وعنـد الانتهـاء منهـا..

النجـار والحـداد والحلاق والخيـاط والبنّـاء والعامـل والسـائق، وكل صاحـب مهنـة يجمـل بهـم أن يتقنـوا أعمالهـم وينجزوهـا مـن دون نقـص أو إهمـال، وأن يتجنبـوا الغـش والخـداع ويلتزمـوا بالمواعيـد، وربما احتـاج بعضهـم إلى تأهيـل وتدريـب حتـى يتقـن مهنتـه ويـؤدي عملـه على أكمـل وأدق وأجمـل صـورة، وهـم بذلـك يرضـون الله ويكسـبون قلـوب مـن يتعامـل معهـم.

المدير والموظف، القاضي والمحامي، الضابط والجندي، جدير بكل منهـم أن يتقـن عملـه وينجـز مهماتـه بـكل أمانـة وإخلاص ومـن دون

تباطؤ أو تأخير، ولا يستغل وظيفته في أذية الناس أو ابتزازهم أو عدم إعطائهم حقوقهم.

وعدم الإتقان يكون بالإهمال والتسيب، وعدم الوفاء بالمواعيد، وسوء تنفيذ الأعمال، وما أكثر ما نشاهد في حياتنا أعمالاً غير مكتملة، وغير مستوفية للمواصفات، ويترتب على عدم إتقانها أضرار كبيرة في حياتنا، وخسائر مادية وبشرية كان يمكن تجنّبها إذا اهتم أصحابها بالإتقان وحسن التنفيذ.

تسير في الشارع على رصيف مبلّط وواسع وجميل، لكن قدمك تقع على بلاطة هبطت قليلاً عن أخواتها فيسبب لك إلتواءً في القدم أو كسراً في الساق، ومع الألم الشديد تحتاج إلى علاج ورباط أو تجبيس لعدة أشهر، لأن المبلّط الذي وضع البلاطة لم يتقن عمله وأهمل وضع الحشوة الكاملة من خلطة الرمل والاسمنت تحت البلاطة، فيتحمل إثم كل من تنزلق قدمه في ذلك المنخفض وهو تقصير يبدو يسيراً ولا يُلتفت إليه!

يقوم ميكانيكي السيارات بفحص السيارة وإصلاح ما فيها من خلل، لكنه قد يهمل شد أحد صواميل العجلات، أو لا يملأ الخزان المخصص بالكمية الكافية من الزيت، ثم

يتسلمها صاحبها مطمئناً وفي أثناء السير تنفجر الماكينة، أو تخرج إحدى العجلات من دولابها فتنقلب السيارة وقد يموت أو يجرح من كان راكباً عليها، ويعود السبب للإهمال وعدم إتقان المهندس لعمله!

والمدير الذي لا يخطط جيدا لعمله ولا يتقن القيام بواجباته ويهمل متابعة مرؤسيه يسبب خسائر مادية ومعنوية للمؤسسة التي يعمل فيها!

تنهار عمارة جميلة لأن المقاول لم يلتزم بمقاييس الجودة، وأنقص في مواد البناء، وأهمل المهندس الإشراف الدقيق في أثناء التنفيذ فكلاهما لم يتقنا عملهما، وكذا الطبيب إذا لم يتقن العملية الجراحية فتتضاعف آلام المريض، ويحتاج إلى عملية أخرى تصلح الخطأ السابق، وكل ذلك لأن الطبيب لم يأخذ بكل أسباب السلامة الصحية، فضلاً عن التكاليف المادية المضاعفة التي يتحملها المريض!

قال البحتري:

إِذا ما الجُرحُ رُمَّ عَلى فَسادٍ تَبَيَّنَ فيهِ تَفريطُ الطَبيبِ

يتقدم صاحب الحاجة بملف متكامل للمعاملة التي يريد إنجازها، ثم يأتي في الموعد المحدد ليتسلمها فيخبره الموظف أن هناك وثيقة ناقصة عليه إحضارها، فينصرف محسوراً لإحضار الوثيقة ويأخذ ذلك منه وقتاً وجهدا ومالاً، ثم يكتشف الموظف أنه لم يفحص الملف جيداً بينما كان مكتملاً، إن هذا التقصير وعدم إتقان العمل يسبب متاعب إضافية لذوي الحاجات، ويأثم المهمل وإن أفلت من اللوم والمحاسبة.

لقد صارت الشعوب تتنافس في مختلف المجالات العلمية والتربوية والتقنية والطبية وغيرها، وحتى تحقق قصب السبق على غيرها فإنها تركز على الإتقان وتتجنّب جوانب القصور.

كنت مع وفد تربوي في زيارة لألمانيا عام 1984م للإطلاع على التجربة الألمانية في مجال التعليم الفني والتدريب المهني، وشملت الزيارة مصنع شركة مرسيدس لصناعة السيارات، وشركة سيمنس وهي من كبريات الشركات المتخصصة بالأجهزة الكهربائية، أخبرنا المسؤولون أنهم يشتركون في مسابقات دولية، وقالوا أن الطلاب والمهندسين اليابانيين

يتقدمون عليهم في تلك المسابقات، ومن أجل المحافظة على سمعة الصناعة الألمانية المنافسة فليس أمامهم سوى التركيز على الجودة، فلا يعتمدون على دقة الآلة في المصانع، بل يجعلون في خطوط الإنتاج على كل قطعة فنياً يفحصها ويتأكد من عدم وجود أي عيب فيها، فالإتقان يصنع الثقة ويحافظ عليها في نفوس المستهلكين.

اشتهرت سويسرا بإتقان صناعة الساعات التي تباع بأغلى الأسعار، ومجرد أن يتأكد المشتري أن الساعة سويسرية يشعر بالاطمئنان، وأنه يقتنى ساعة ذات جودة عالية، وهناك دول اشتهرت بنوع من الإنتاج الصناعي أو الزراعي أو النسيج أو الصناعات الألكترونية أو غيرها، فتحافظ على مركزها وسمعتها وإقبال الناس على ما تنتجه، لكنها تخسر سمعتها وينصرف المستهلك إلى غيرها عندما تقل جودة منتوجاتها وتقصر في المحافظة على إتقان مصنوعاتها.

عندما يتحول الإتقان إلى ثقافة عامة ويصبح نظاماً عاماً يطبع كل مناحي الحياة عند النجار والحداد والبنّاء والنّسّاج والخياط والسائق والأسطى والفلاح والتاجر والمعلم والطبيب

والمهندس والمحامي والرئيس والمرؤوس.. يحقق ذلك الرضا والاطمئنان، ويجعل الحياة سهلة وميسرة، ويؤدي إلى الرقي والتقدم.

والمسلم يعتبر الإتقان عبادة وطاعة لله لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[1]، وعلى النقيض من ذلك الغش والإهمال والتقصير الذي يفقد صاحبه ثقة الناس وتقديرهم واحترامهم، بل يصرفهم عن التعامل مع من هذا شأنه وطبيعته.

لن تصل أمتنا إلى مهارة الإتقان حتى تصبح ثقافة عامة في كل جوانب حياتها، يتربى عليها الطفل في بيته وأسرته، ويُنشّأ عليها الطالب في مدرسته، ويمارسها الموظف فى مؤسسته، ويحرص عليها رجل الأعمال في مكتبه ومصنعه، وتقوم وسائل الإعلام ببيان أهميتها وفوائدها، ويؤكد عليها الموجهون والخطباء، ويشيد بها الأدباء والكتاب..

ولعلنا بعد هذه الاطلالة الموجزة عن الإتقان قد عزمنا على أن نتقن ونحسن أعمال وواجبات ديننا ودنيانا، وأن نلغي من

(1) أخرجه أبويعلى والطبراني عن عائشة رضي الله عنها، وذكره الألباني في الصحيحه نظراً لشواهده.

حياتنا الإهمال والتقصير والغش والخداع، لنتقرب إلى الله ونعمل بتوجيه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لنسعد في حياتنا، ونريح ضمائرنا، ونسهم في رقي وتقدم أوطاننا، وقبل ذلك نرضي ربنا ونلتزم بهدي نبينا عليه الصلاة والسلام.

•~•~•~•~•

والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المؤلف في سطور

زيد بن علي حميد الشامي.

- من مواليد الجمهورية اليمنية عام 1953م.
- بكالوريوس تربية – لغة عربية ودراسات إسلامية – جامعة صنعاء 1977م.
- دبلوم خاص إدارة وإشراف تربوي– جامعة صنعاء 1985م.
- عمل في حقل التدريس والإدارة والتوجيه التربوي، وشغل مراكز قيادية متعددة.
- عمل ملحقاً ثقافيا للجمهورية اليمنية بالسفارة اليمنية بالرياض 1989 / 1990م
- عمل سكرتيراً في مجلس رئاسة الجمهورية 1993 / 1994م.
- عضو مجلس النواب (دورة2003م).
- رئيس كتلة الإصلاح البرلمانية 2012 / 2018م.
- عضو هيئة التشاور والمصالحة 2022م.
- مشارك في وضع المناهج وتأليف الكتب: للتعليم العام، ومعاهد المعلمين العامة والعليا، ومحو الأمية وتعليم الكبار، والجامعات الخاصة في الجمهورية اليمنية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- رئيس دائرة التعليم بالأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح، وعضو مجلس الشورى.
- أب لثلاثة أولاد وسبع بنات.
- محاضر وخطيب وكاتب.

صدر له:

1 – خواطر وتأملات .

2 – بسمات ونسمات.

3 – بيوت الحب .

4 – رياحين.

5 – رواد من اليمن .

يستهدف هذا الكتاب تسليط الضوء على المهارات الضرورية التي نحتاج إتقانها في حياتنا العامة والخاصة، ولا يستغني عنها شبابنا -عدة المستقبل- وتشير الموضوعات الواردة فيه إلى الصفات المكملة للشخصية السوية، ولا سيما من يعملون في دعوة الناس وتوجيههم، أو من يتولّون الإدارة والقيادة، أو من يتصدرون الريادة والوجاهة في المجتمع؛ ويجد من حولهم حرجاً لتنبيههم على تقصير يحدث منهم، أو خصلة مهمة تغيب عنهم، أو لفت نظرهم إلى سلوك غير سوي لا يليق بهم، أو التذكير بقضايا تبدو بدهية وواضحة، لكنها مما لا يلتفتون إليه، وقد أوردتها هنا إشارات سريعة على طريقهم، فالمؤمن مرآة أخيه، يكشف له أي هِنات أو عيوب تغيب عنه ليصلحها حتى يبدو في أبهى صورة وأحسن خُلُق.